وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر *الوادي*

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المذكرة:

صورة المثقف في رواية "شرفات بحر الشمال" لواسيني الأعرج

مذكرة لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي

إعداد الطلبة:

- بسة كريمة
- جبالي مروة
- يحياوي بدرة

إشراف الأستاذ:

- عوادي يسمينة

السنة الجامعية: 2015/2014

شكـــــر وعـــــــرفان

لا يسعنا عند إتمام هذه المذكرة إلا أن نقف وقفة شكر وحمد لله سبحانه

وتعالى على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل

كما لا يفوتنا أن نقف وقفة شكر وتقدير الى كل من قدم لنا

المساعدة في إعداد هذه المذكرة المتواضعة

أخص بالذكر الأستاذة المؤطر "عوادي يسمينة" التي عملت على

توجيهنا وإنارتنا بما يكفل لنا النجاح

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى زميلتنا في الدراسة "زغبب حليمة"

والى كل الأساتذة الذين رافقونا

طيلة المشوار الدراسي بالجامعة ولم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم القيمة

إلى كل هؤلاء نقف وقفة إجلال وتقدير

مقـــــــــدمـة

مقدمة:

الرواية شكل من أشكال التاريخ،و لا سيّما تلك التي تمتح من الواقع،فمن خلالها نستطيع أن نتعرّف على مميزات و خصائص فترة زمنية معينة من حياة الشعوب.

وقد لا نبالغ إذا قلنا أنّ الرواية الجزائرية استطاعت على الرغم من العقبات العديدة التي ت سيرتها،أن تقفز قفزات واسعة في عُمرها القصير الذي لا يتجاوز نصف قرن و أن تسير بخطى ثابتة نحو النُضج،و احتلال مكانة مرموقة بين الأجناس الأدبيّة الأخرى فإن كانت البدايات بسيطة،فإن درجة من التعقيد تصاحب المرحلة الأخيرة،نتيجة تنوّع أدوات التعبير الفنّي عارب الأجيال و تعقد الحياة بروافد مكوّناتها المختلفة ،خاصّة في فترة التسعينيات و قد واكبت الرواية الجزائرية هذه الفترة بكل تفاصيلها المؤلمة،و من بين المبدعين الذين كتبوا في أدب فترة التسعينيات أو ما يعرف بأدب الأزمة، الروائي **"واسيني الأعرج"** ولقد وقع اختيارنا على روايته "شرفات بحر الشمال" لتوّفرها على جميع الخصائص فوسمنا بحثنا هذا ب(صورة المثقف في رواية شرفات بحر الشمال).و من خلال هذه الرواية حاولنا الإجابة على الأشكال الرئيس:كيف يبدو المثقف بين التنظير والتخيل ؟.

فتفرعت عليه عدة تساؤلات تمثلت في :

- كيف واجه المُثقف الجزائري مِحنَة الوطن ؟

- هل استطاع المُثقف الجزائري أن يوصل صوته لأصحاب القرار؟

- ما هو الدور الذي ننتظره من النُخبة المثقفّة؟

و قد جاءت الخُطة في مدخل و مُقدمة و فصلين و خاتمة،أمّا المدخل فعنوناه ب:مفهوم المثقّف،المثقف و أدب الأزمة،و فيه أشرنا إلى مفهوم المثقف عند المُفكرين الغربيين و عند المفكريين العرب،و تتبعنا التحوّلات السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية التي مرّت بها الجزائر

إلى غاية فترة التسعينيات.و كذلك تطرقنا إلى موضوع اصطدام المُثقف بالسلطة كنظام حكم و التركيز على المثقف بنوعيه العضوي و التقليدي.

و عنوّننا الفصل الأول ب: محنة المثقف،و قد ضمّ خمسة مباحث،و عرضنا لمختلف مواقف المُثقفين،من محنة الوطن و ردورد أفعالهم تجاه ما حدث،و قد تحدثنا عن حالات من الإغتراب تجسّدت في :الهجرة،ذكر الموت،الإنتحار،الإحساس بالدونية،رفض قِيم ع،اللامبالاة،و غيرها،و معاناته مع السُلّط المختلفة،سلطة المجتمع،سلطة نظام الحكم.

أمّا الفصل الثاني:فخصصناه،لصور المثقف الجزائري في رواية شرفات بحر الشمال،و ضمّ خمسة مباحث،و تجسَّدت معاناة المثقف في اضطهاد السُلّط المختلفة له بدءا بسلطة الحكم الذي همشّه و ضيَّق الخناق،و سلطة المتدينين المتطرفين الذين نصبوا له المصائد في كل مكان يمكن أن يولّي وجهه نحوه،و للخلاص من هذه المعاناة احتمى المثقّف بالكتابة و الإبداع بمختلف فروعه، كما لجأ إلى المرأة فزادت من معاناته.

و لخوض غمار هذا البحث اعتمدنا على المنهجين التاريخي و البنيوية التكوينية،فالمنهج التاريخي مكننّا من تتبع المسار التاريخي لجزائر ما بعد الاستقلال و منه تتبع مختلف الوضعيات الحياتية التي عاشها و عايشها المثقف الجزائري خلال هذا المسار،أمّا المنهج البنيوية التكوينية فمكننا من الربط بين مضمون الرواية و السياق السوسيوتاريخي الذي وُلدت فيه،و هو ما وضع بين أيدينا هذه الإشارات التي تحيل إلى وضع أو فكر معين.

و في الأخير كانت خاتمة البحث،التي جاءت خلاصة لكل ما ورد في البحث،و عرضنا فيها أهم النتائج التي توّصلنا إليها من خلال هذا البحث.

و لعلّ أهم الصعوبات التي واجهتنا هي قلّة المراجع التي تناولت صورة المثقف العربي،و تناول صور المثقف الجزائري عند الروائيين الجزائريين بصورة قليلة.و لقد وقع اختيارنا على إحدى روايات "واسني الأعرج" ،لتناول الكاتب صوّر المثقف بشكل واضح ،و فضلا عن رواية

"شرفات بحر الشمال" فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

- صوّر المثقف ،المثقف و السلطة لإدوار سعيد.
- مسؤولية المثقف لعلي شريعتي.
- شخصية المثقف في الرواية العربية السورية لرياض وتّار.
- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة لعبد السلام محمد الشاذلي.
- انتجلنسيا أم مثقفون في الجزائر لعمار بلحسن.
- المُتخيّل في الرواية الجزائرية لعلّال سنقوقة.
- المرأة في الرواية الجزائرية لصالح مفقودة.

و في الأخير نشكر الله العلّي القدير على ما منّ علينا بفضله، ثم نتقدّم بالشكر الجزيل. كما نوّجه الشُكر لكل من ساهم بطريقة مباشرة،و غير مباشرة في انجاز هذا البحث. إلى الأستاذة المُشرفة **ياسمينة عوّادي** على تجشّمها عناء الإشراف على هذا البحث،و بذل كل ما في وسعها ليُتَم على أكمل وجه.

مـــدخـــل

مدخل:المفهوم،المثقف و أدب الأزمة:

مفهوم المثقف:

يعد مصطلح المثقف من بين المفاهيم التي كثرت حولها النقاشات،و تعددت وجهات النظر حول تحديد معناها،و وضع تعريف شامل له،و لعل ذلك راجع إلى اختلاف و تنوع التعريفات من ثقافة الى أخرى ،وتداخل هذا المفهوم مع مفاهيم أخرى،إذ يقول "انطونيو غرامشي " إن مفهوم المثقف أوسع من ذلك بكثير ، فالمثقف عنده هو كل إنسان يمتلك رؤية معينة تجاه المحيط الذي يعيش أو ينشط فيه،لأن الثقافة في عرفه ليست مهنة،ولا معياراً يقسم المثقفين إلى طبقات وظيفية.و يرى أن المثقف "كلّ من يمارس عملا تربويا أخلاقيا ثقافيا "[1].

و يُعرّف"جوليان بندا "المثقفين بأنّهم "عصبة صغيرة من الملوك الفلاسفة الذين يتحلّون بالموهبة الاستثنائية و بالحِّس الأخلاقي الفذ و يشكلّون ضمير البشرية"[2]،و قد عرف المثقف أيضا بأنه "ليس ذلك الذي أكمل تعليمة أو أتقن القراءة أو الكتابة لكنه الإنسان الذي يمتلك الوعي الإجتماعي و الثقافي الذي يمكنّه من رؤية مجتمعه و قضاياه من منظور نقدي و تاريخي "[3].

و الفيلسوف الفرنسي "جان بول ساتر" الذي يعرف المثقف على أنه : "ذلك الإنسان الذي يدرك و يعي التعارض القائم فيه و في المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية و بين الإيديولوجيا السائدة "[4].

من المؤكد أن مفهوم المثقف قد تغيّر و اختلف باختلاف الفلاسفة و المفكرين و اختلاف الزمان من عصر إلى عصر و بتعدد وجهات النظر و تنوع الرؤى بشأن المثقف،إذ يرى " ماركس فيبر " أن "المثقف يحمل صفات ثقافية و عقلانية مميزة ،تُ ه للنفاذ إلى المجتمع و التأثير فيه بفضل المنجزات القيمية الكبرى "[5].و يعتقد "بارسونز " أنّ <<المثقف هو الشخص المتخصص في أمور الثقافة ويضع

---

[1] عمار بلحسن،في الأدب و الايديولوجيا،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص52.

[2] ادوارد سعيد،صور المثقّف،دار النهار،د-ن،1994،ص 22.

[3] ابراهيم محمود عبد الباقي،الخطاب العربي المعاصر،عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية(1990-1996)،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،2008،ص169.

[4] جان بول ساتر،دفاع عن المثقفين،ترجمة جورج طرابيشي،منشورات دار الأداب،بيروت،الطبعة الأولى،1973،ص33.

[5] ايمن طلال يوسف:التفاعل الايجابي بين المثقف العربي و قضايا الأمة،إدوارد سعيد انموذجا،مجلة الفكر السياسي،العدد26،السنة الثامنة،2006،ص320.

اعتباراتها فوق الإعتبارات اليومية المعتادة،بينما يرى " لويس فوبير " أن المثقف هو المتعلم أو المهني من الطبقة الوسطى الذي يختلف عمن يعمل بالبضاعة و التجارة من الطبقة العليا و الطبقة الدنيا>>[1].

و يذهب "هشام شرابي" إلى (الاعتقاد بأن المثقف هو الشخص الملتزم و الواعي اجتماعيا بحيث ن بمقدوره رؤية المجتمع و الوقوف على مشاكله و خصائصه و ملامحه،و ما يتبع ذلك من دور اجتماعي فاعل من المفروض أن يقوم به لتصحيح مسارات مجتمعية خاطئة)[2]،أمّا "برهان غليون" فيقول (إن المثقف هو من ينتمي إلى طبقة اجتماعية فاعلة في المجتمع بحيث تتميز عن غيرها بتفكيرها العالي و الناقد و تدخل في عملية الصراع الإجتماعي و السياسي و في النهاية يكون تأثيرها واضحا،إما من خلال مشاركات قوية لصنع القرار السياسي أو من خلال أعمال فكرية كبيرة تؤثر في الناس و المجتمع فكريا و ثقافيا)[3].

المثقف من الناحيتين المنهجية والوظيفية هو من امتلك وعياً اجتماعياً وسياسيا ومهارات إبداعية خلاّقة،و قُدرة على توظيفها في المجتمع وقضاياه كافة؛تحليلاً وبناءاً،وذلك وفقاً لمصالح قوى اجتماعية محددة،وهذا بالتالي ما يدفع إلى نمذجة المثقف قِيمياً من الناحية النظرية والعملية،ما بين مثقف سلبي،يمثله المثقف الإنتهازي والوصولي والمتعصب و المهاتر،وكل من يقف ضد مصالح المجتمع،وآخر إيجابي يمثله أنموذج المثقف العضوي،الملتزم بتنمية المجتمع.

المثقف..إذن هو "كل من تربى لديه وعي ذاتي بالاتجاهات العامة في حضارته،و قادر على أن يختار بينهما و يقف موقف نقديا منها "[4]،المثقف هنا لا يرتبط بالدرجة العلمية،قد يكون أميّا و لكنه مُبدع،كما هو الحال عند بعض شعراء العامية.

و نخلص أخيرا بأن هناك من يعرِّف المثقف بأنه الشخص الذي يعرف شيء عن كل شيء ، ولكن المثقف عند آخرين هو ذلك الذي يستخرج الكنوز الثقافية العظيمة للمجتمع و يقوم بتنقيتها و ينقل التناقضات الإ تماعية من باطن المجتمع إلى وعيه بالفن و الكتابة و المحاضرات و غيرها من

---

[1] مصطفى مرتضى على محمود،المثقف و السلطة،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،ط1998،1،ص25.

[2] منتديات ستار تايمز،مفهوم المثقف،**2006/12/03**، http://www.startimes.com/?t=2976924.

[3] المرجع نفسه.

[4] ابراهيم محمود عبد الباقي،الخطاب العربي المعاصر،مرجع سابق،ص168.

الوسائل ،بعقد جسر بين أهل الفكر و العامة ،بنزع سلاح الدين ممن استخدمه ليمارس سلطاته،يصحِّح مفاهيم الدين لدى الناس والدعوة إلى العمل والحياة والقوة والعدالة. و إذا ما بحثنا في تصنيف المثقف أو أنواعه سنجد أن الكثير من الدارسين و الفلاسفه قد حاولوا صنيف المثقفين حسب رؤاهم الإيديولوجية و توجهاتهم الفكرية و السياسية فجورج لوكاتش مثلا يقدم تصنيفا واقعيا ممزوجا بالمادية الجدلية حيث يصنف المثقفين المبدعين إلى المثقف المثالي و المثقف المتصالح الذي يتكيف مع الواقع و المثقف الايجابي،أما انطونيو غرامشي الذي له فضل السبق في تصنيف المثقفين فقد صنف المثقف إلى صنفين : المثقف التقليدي و المثقف العضوي.

المثقف التقليدي : "أمثال الفلاسفة و رجال الدين و المعلمين و الإداريين و المهندسين و المحاميين،ممن يواصلون أداء العمل نفسه من جيل إلى جيل"[1] و يتميزون بقدرتهم على الاستمرار و التواصل لقوة أفكارهم و كفاءتهم و لا يرضون التراجع عن قيمهم و مبادئهم "حتى و لو بقوا معلقين بدون أرضية طبقية يرتكزون عليها "[2].فهم "يقدمون أنفسهم و يصورون ذواتهم على أنهم مستقلون و يصورون ذواتهم على أنهم مستقلون عن الطبقات الإجتماعية و يؤكدون في خطاباتهم و تصوراتهم على كونهم استمرارية تاريخية لعصور الفلسفة الذهبية و رجالها كسقراط و أفلاطون "[3] و يضرب عمار بلحسن في ذلك مثالا بالمثقفين الإصلاحين أمثال : " ابن باديس الذين يمثلون استمرارية تاريخية للمجتمعات الاسلامية "[4].

المثقف العضوي : هو ذلك المثقف الإيجابي الذي يسمح لنفسه بالاحتكاك بطبقات مجتمعه والمساهمة في اخراج أفراد هذا المجتمع من براثن الظلم و الفساد ،ومن سيطرة الايديولوجية الزائفة،إنه مثقف "يعمل على إنجاح المشروع السياسي و المجتمعي الذي يعني بحاجاتهم الجوهرية فهو إذن لا يتصف بالنرجسية و الفردانية في خدمة مجتمعه ، ففي حين يناضل المثقف التقليدي عن حقوق تمثل و تهدف لتحقيق مكاسب ذاتيه على المستوى العام والخاص و يعيش في برجه العاجي و

[1] محمد العابد الجابري،المثقفون في الحضارة العربية،محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،ط2000،2،ص22.

[2] عمار بلحسن :انتجلنسيا أم مثقفون في الجزائر،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع،لبنان،ط1986،1،ص43.

[3] المرجع نفسه.

[4] عمار بلحسن،في الأدب و الايديولوجيا ، ص62.

ضل المثقف العضوي لتحقيق مطالب الطبقة الغارقة في عاديتها و حاجاتها اليومية،فيتسع مفهوم المثقف العضوي بذلك لدى غرامشي ليشمل"كل من يمارس عملا تربويا ثقافيا أخلاقيا...،فمناضل ب و المعلم و الصحفي،و الأديب مثقفون لكونهم يبذلون عملا ذهنيا..يتعدى كثيرا كمية و نوعية العمل اليدوي الذي يؤديه الشغيلة اليدويون مثلا فيتجاوز بذلك غرامشي المضمون الضيق الذي أعطاه ماركس و الذي يقتصر على مبدعي و مفكري الأوهام و صناع الأفكار و الإيديولوجيا فقط[1] " و يحاول التوفيق و الربط بين البنية التحتية و الفوقية للمجتمع إذ إن"الوظيفة الأساسية لكل مثقف عضوي داخل البنية الإجتماعية هي كونه إسمتنا يربط البنية التحتية بالبنية الفوقية و يكون بذلك الكتلة التاريخية الإجتماعية فهو و زملاؤه يقومون بخلق و توزيع و نشر الإيديولوجيا من جهة،لضمان إ لطبقة التي يتربط بها عضويا من جهة أخرى[2].

إذن هكذا صُنِّف المثقف من طرف "غرامشي"،بين عضوي و أخر تقليدي بناءًا على دوره لمجتمعي،الذي سيحدد ضمن أي نوع سيندرج.

2-المثقف و أدب الأزمة :

عندما نتحدَّث عن الأزمة فإننا حتما نقصد بها المحنة،المأساة،النكسة...،و قد شهد العالم بأسره عدة أزمات توالت عليه،أزمة سياسة كانت أو اقتصادية،و الأكيد أن لهذه الأزمات أثر بالغ على المثقف أينما كان،و ظهر هذا بظهور شكل روائي جديد،أطلقت عليه تسمية رواية المحنة،يتخذ من الأزمة سؤالا مركزيا لمتنهِ الحكائي.

ظهور هذا الأدب الجديد أو ما سمي بأدب الأزمة لم يأتِ من فراغ بل هناك أحداث جرت خلقت أدبًا عرف بأدب المحنة،"وبعد ظهور موجة الإرهاب تطرقت الرواية العربية إلى هذه الظاهرة،و ربطتها بالمثقف خاصة،لأنه كان الفريسه المفضلة لها"[3].

[1] المرجع السابق،ص52.

[2] المرجع نفسه.ص52.

[3] سعاد حمدون،صور المثقف في روايات بشير مفتي،مذكرة ماجستير،قسم اللغة و الأدب العربي،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة،2010،ص16.

و في معالجة الرواية العربية لقضايا نقف نجدها تركز على الأزمات التي يمر بها مثقف هاته حوب،إلا أن الأحداث التي مرت بها جزائر ما بعد الاستقلال و الوقائع المريرة،ينطبق عليها مطلح أو تسمية أدب الأزمة و من النعوت التي نعتت بها فترة التسعينات من القرن العشرين و منه على الأدب الذي ظهر خلالها:"فترة الأزمة،فترة المحنة،العشرية السوداء،عشرية الدم،فترة الفتنة..."[1].بداية الألفية الثالثة قد شهدت ظهور رواية جديدة باللغة العربية على يد جيل جديد نشأ وسط أحداث العنف الدموي المأساوي،و من كتابه : "بشير مفتي،و عز الدين جلاوجي،أمين الزاوي،و حميدة العياشي،و أحلام مستغانمي،و إبراهيم سعدي،و حسين علام،و حميد عبد القادر،و جيلالي عمراني،و سفيان زدادقة "[2].

ما عاشه المثقف الجزائري خلال عشرية التسعينيات كان له أثر في الروايات التي ظهرت خلالها،فتجسَّدت صورة المثقف في الروايات المصنفة ضمن أدب الأزمة،في صورة المهمَّش و المظطهد لذي يقتل فقط بسبب أفكار يؤمن بها،و من الروايات الجزائرية التي حاول كتابها تمثيل المثقف الجزائري في فترة العشرية السوداء على سبيل المثال لا الحصر :(فتاوى زمن الموت) و (بوح الرجل القادم من الظلام) لابراهيم سعدي،(الورم) لمحمد ساري،(سيدة المقام،حارسة الظلال،ذاكرة الماء) لواسيني الأعرج،(كراف الخطايا)لعيسى لحيلح،(جدار الصمت)لياسمينة صالح،(تيميمون)لرشيد بوجدرة،(ذاكرة الجسد)لأحلام مستغانمي،(وطن من زجاج)لياسمينة صالح.هذه الروايات و التي ظهرت خلال فترة الأزمة جعلت منها موضوعا يتناقل بين صفحاتها فرواية "تيميمون" لرشيد بوجدرة صدرت عام 1994،أي أنها ظهرت خلال الفترة الساخنة من الجحيم الارهابي، يصِف فيها الكاتب كيف أغتيل المثقف،"إن الذي أُغتيل هو الأستاذ،رمز التربية و مصدر العلم،و الإرهاب يصوب رصاصه نحو أهل العلم و التنوير ليفرض حالة من الظلامية"[3].الكأبة التي سادت نص "بوجدرة" و الرؤية السوداوية التي تبناها لم تأتِ اعتباطا بل لأن السوداوية انطلقت من الواقع المعاش إلى النص الأدبي،فكان

[1] المرجع السابق،ص17.

[2] حسن المودن،الرواية و التحليل النصي،دار الأمان،الرباط، منشورات الاختلاف،الجزائر، الدار العربية للعلوم الناشرون،بيروت،لبنان،ط1،2009،ص102.

[3] فاروق جقريف،أدب الأزمة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج،مذكرة ماجستير،كلية الأداب و اللغات،جامعة قاصدي مرباح ورقلة،2011،ص22.

تجسيدها دلالة على عمق الجرح في نفوس الناس عامة و الطبقة المثقفة مثل بوجدرة على وجه الخصوص.

أما عن حراس النوايا في "سيدة المقام"،نلاحظ أن هذه الرواية طبعت سنة 1997 أي في أوج الأزمة الوطنية،فواسيني الأعرج ينقلك من الأخبار إلى الأفعال على عكس الروايات الأخرى، يصوِّر المثقف الذي تم إسكاته بكل الطُّ معه و استعمال العنف معه فقط لمجرد أنه ينوي معارضتهم،الإرهاب في سيدة المقام ليس حدثا عابرًا و لا مجرد خبر يُقرأ أو يُسمع، بل أحد مكونات الرواية ،فالكاتب لا ينكر وجوده و لا يستصغر شأنه و لكنه لا يكتفي بتسجيل حضوره و إنما يعطيه بُعدًا تاريخيًا و ايديولوجيًا و سياسيًا.

و قد حاولت روايات المحنة التعبير عن العنف الممارس في الواقع و التعبير عن محنة المثقف والمفكر و الانسان البسيط بصورة فجائعية مريرة،من مقتل الرئيس "بوضياف" في روايات كثيرة(كفوضى الحواس لـ:أحلام مستغانمي)أو(دم الغزال لـ:مرزاق بقطاش) إلى العيش تحت التهديد أو اللجوء إلى الحياة السرية كما في رواية (فتاوى زمن الموت لـ:إبراهيم السعدي) أو (ذاكرة الماء لـ:الأعرج)إلى شهادات الفتيات المختطفات من طرف الجماعات الاسلاموية المسلحة كما في رواية(الحب في مناطق محرمة لـ:الجيلالي خلاص)،أو(تاء الخجل لـ:فضيلة الفاروق)،إلى اغتيال المدينة و كل شيء جميل في هذه البلاد كما في رواية(سيدة المقام و حارسة الظلال لـ:واسيني الأعرج).

الفصل الأول

محنة المثقف

- المبحث الأول: _ المثقف ومحنة الوطن
- المبحث الثاني: _ المثقف كفاعل اجتماعي
- المبحث الثالث: _ اغتراب المثقف
- المبحث الرابع: _ المثقف والسلطة
- المبحث الخامس– المرأة والمثقف

المبحث الأول:المثقف و محنة الوطن :

عرفت الجزائر بعد الاستقلال و خلال فترة البناء و التعمّر عدّة عقبات شأنها شأن كل دولة حديثة،و نذكر من هذه العقبات الصراع على السلطة،المسألة الأمازيغية،انحدار المستوى المعيشي للمواطن،الصراع بين اللغتين العربية و الفرنسية...إلخ و قد تمكنَّت هذه الدولة الفتية من تجاوز بعض العقبات،إلّا أنّها أخفقت في بعض المجالات،و كان حصيلة كل هذا في نهاية الثمانينيات.

تعتبر أحداث 5أكتوبر1988 حدثًا بارزًا في ذهنية الشعب الجزائري لما لها من أثار نفسية و تغيرات مسَّت جل القطاعات على غرار الانتقال من النظام الاشتراكي في السياسة و الاقتصاد إلى النظام الليبرالي فكان لزامًا على الجزائر مواكبة هذا التاريخ الضخم.

فأحداث أكتوبر1988 كانت انفجارًا مليئًا بالمعاني و الدلالات،تستدعي الوقوف عندها مليا لفهم بعض أوجه تطور الجزائر المعاصر.فـ ـه الأحداث لم تكن عفوية بكاملها،لأنّها مسّت كل التراب الوطني وفي نفس التوقيت،فلقد شهدت شوارع الجزائر شبابًا غاضبًا ساخطًا على أوضاع سيئة متفاقمة،فهاهم شباب يقومون بإضرام النيران في كل ما يمت بصلة إلى القطاع العام.و كما يرى أحمد طالب الإبراهيمي الذي كان وزيرًا للخارجية آنَ ذاك أنّ لهذه الأحداث جانبين؛ ((جانب تلقائي يتعلق بابتعاد الدولة عن تطبيق العدالة الاجتماعية و اتساع الهوة بين الحاكم و المحكوم،و جانبًا مفتعلاً يتصل برغبة بعض أطراف السلطة في تغيير خط جبهة التحرير نحو الليبرالية قلب تحالفات الدولة الخارجية))[1].فيعد شبه رخاءٍ عاشه الجزائريون إبّان حكم الراحل الشاذلي بن جديد "تنهار أسعار البترول عام 1986 و بهذا تقلّص الموارد المالية في مقابل تزايد مستوى الإنفاق العام،فتخلّت الدولة عن دعم الأسعار الاستهلاكية،مما أدى إلى أزمة اقتصادية و اجتماعية خانقة،حيث ارتفعت نسبة البطالة،و انخفضت قيمة العملة،و تجمدّت الأجور و تراكمت الديون،مما أدى إلى ظهور التململ الاجتماعي[2]،فكانت أحداث الخامس من أكتوبر1988.

[1] **محمد تامالت**:الجزائر من فوق النيران،شهادات لجنرالات و رؤساء حكومات و زعماء أحزاب و شخصية من الجبهة الاسلامية للانقاذ، **الجزائر**1999،ص25.

[2] عبد العالي دبلة،الدولة الجزائرية الحديثة،الإقتصاد و المجتمع و السياسة،دار الفجر للنشر و التوزيع،القاهرة،الطبعة الأولى،2004،ص219.

<< مد فتح المجال أمام التعددية الحزبية،و إجراء انتخابات محلية و ولائية،فازت جبهة الإنقاذ الإسلامية بالأغلبية،لكن الجيش أوقف المسار الانتخابي،لأنه رأى في فوز التيار الديني خطرا على النظام الجمهوري>>[1]،فحصل صِدام بين الطرفان أدخل الجزائر في منعرج خطير و مرحلة عنف دامٍ حصد آلاف الأرواح البشرية و خسائر مادية كبيرة و نعني بذلك العشرية السوداء.

و هكذا <<فالشباب ترك لشأنه تقريبا منذ مطلع الثمانينات يتداول عليه الفراغ السياسي و المصير الغامض و اليأس الأسود،كل ذلك في أتون المظالم الاجتماعية الصارخة...في مثل هذه الأوضاع الجهنمية ماذا يمكن للشباب أن يختار؟الهجرة؟المسجد؟السجن؟الانتحار>>[2].

و كل هذا الزخم من التحولات العنيفة و المتسارعة كان للمثقف موقف منه و بأشكال مختلفة،و كانت الرواية الفن الضليع باستجلاء المواقف.<< فالرواية يمكنها أن تعبر بمرونة أكثر من جميع الفنون الأدبية الأخرى عن شخصية المثقف و مشاكله الأساسية>>[3].فاستطاع المثقف الجزائري أن يُعبِر عن حال الوطن من خلال كتابته،و سور لنا الأحداث التي مرّت بها الجزائر في نهاية الثمانينيات و بداية التسعينيات،و التي دامت عشرية كاملة،و شكلّت مع غيرها من الأعمال الأدبية التي ظهرت في نفس الفترة،<<و الواقع أن الإشارة إلى ظاهرة الإرهاب في الكتابة الروائية بدأت منذ السبعينات،و جاء شكل صريح في رواية الطاهر وطّار (العشق و الموت في الزمن الحراشي)>>[4]،و (أشجار القيامة)لبشير مفتي،و تعرض فيها لجزائر ما بعد الإستقلال و كأنه أرادها أن تكون عاكسة لفترة حرجة مرّ بها الوطن.

و صار المواطن الجزائري ينام و ينهض على وقع عمليات تركت صداها في كل بيت من الجزائر؛ فالروائي (بشير مفتي) يذكر في روايته المراسيم و الجنائز << إنّه الأحد ،صباح متشائم و أسود،لا حديث للناس إلّا عن المجزرة،و كيف حدثت،لم يعرض التلفزيون إلّا بعض الأجساد المقطعة و برك الدم التي لطخت الأرض أما الصحافة فلقد صدرت بالأبيض و الأسود،و احتلت (كذا) الصفحة الأولى صورة الأطفال المذبوحين و كتبت مجزرة أخرى تودي بمائة و سبعين جزائريًا على

[1] محمد عباس،الوطن و العشرة:تشريح أزمة 1991-1996،وزارة الثقافة،الطبعة الأولى،2005،ص68.
[2] عبد العالي دبلة،الدولة الجزائرية الحديثة،الإقتصاد و المجتمع و السياسة،ص158-159.
[3] عبد السلام محمد الشاذلي،شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة،1882-1952،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع،لبنان،بيروت،ط1،1985،ص10.
[4] مخلوف عامر،الرواية و التحولات في الجزائر،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2000،ص88.

المقبرة،كنّا قد تعودنا على الاغتيالات المباغتة،السيارات المفخخة،القنابل المتفجرّة،ثم جاءت مرحلة المجازر الجماعية>>.[1]

و طال انتظار الإنسان الجزائري لفرصة سلام جديدة و لكن لا أمل،فقد وصلت العنهجية و البصيرة بهؤلاء المتطرفين على حد لا يثير قتل إنسان نفوسهم أي نوع من الأسى أو تأنيب الضمير،فليس هناك إلا القسوة و اللامبالاة أمام موت الجزائري. لم يعد هناك في جزائر التسعينات إلَّا الموت الذي هو السيد و الحكم،و غدت << . يموت فيه الناس كل يوم بالعشرات،إن صور المجازر على الصفحات الأولى من الجزائر أصبحت هي الحقيقة الوحيدة التي لا لبس فيها>>[2].فالكاتب (س) في رواية "أرخبيل الذئاب" يحُثّ صديقه مصطفى الصحفي على الهرب، و الخلاص من الوطن الظا لم القاتل:<<يجب أن تذهب لا هربا من القتل و لكن هربا من أجل الروح التي قد تسرق منك في أية لحظة...الروح التي هي كل شيء في هذا البلد الأصم،المزعج،القاتل...الذي دون ان تدري يحملّك مسؤولية الجرائم و السرقات و الاختلافات و الموت و العدمية و يحوّلك بين عشيّة و ضُحاها إلى مجرم>>[3].

لقد بدأت علاقة التوتر بين المثقف كذات و الوطن كوجود يحتوي هذه الذات،من إدخال الوطن المثقف في دوامات الرعب و الخوف،و جعل الموت مصيره المحتوم. و يعتبر اغتيال الصحفي "إسماعيل يفصح"نقطة تحول في تلك المرحلة،حيث أخذ الإرهاب منهجًا أخر و هو اغتيال المثقف. المشهد كان مروع،شاب صحفي و وجه معروف يخرج من بيته متجهًا إلى عمله،فيعترضه من أمروا باغتياله،لا ر الرحمة قلوبهم،و لا يهمهم الصحُفي و لا حقوقه في الحياة كإنسان و لا يعترفون بما جاء في مرية،فأقدمت تلك المجموعة على اغتياله باستعمال السلاح الأبيض،و الناري،و اللكمات،و الركلات،إنّها صورة تعبر عن الشحناء و البغضاء،عن وحشية لا حدود لها،فأردوه قتيلًا أمام أعين الناس كبارهم و صغارهم، و من شدة الصدمة عشية اغتيال "إسماعيل يفصح" ذرفَ "نصر الدين علوي" دموع الحزن في ثنايا نشرة الثامنة، فأبكى معه ملايين الوطنيين مما جعل الأوساط السياسية حينها تصدر بيانات التنديد بمأساة الصحفي التليفزيوني الجزائري و ما يتعرَّض له المثقفون.لقد جاء اغتيال إسماعيل ضمن حملة منظمة في مخطط رهيب لتفريغ الجزائر من كوادرها مثقفون حفيون،سياسيون،و كل الرؤوس الفاعلة في المجتمع،و في نفس الشهر اغتيل "مصطفى

[1] بشير مفتي،المراسيم و الجنائز،منشورات الإختلاف،الجزائر،الطبعة الأولى،1998،ص16.
[2] المصدر نفسه.
[3] بشير مفتي،أرخبيل الذئاب،منشورات الإختلاف البرزخ،2000،ص26.

عبادة" رئيس التليفزيون الجزائري و كان الكاتب الصُحفي "طاهر جاووت" هو أول هؤلاء الضحايا حيث لقى مصرعه متأثرًا بجروحه بعدما قال مقولته المشهورة:<<إذا تكلّمت أنت ميت،و إذا لم تتكلّم أنت ميت،إذًا تكلّم و مُت>>،ذنب هؤلاء جميعًا هو تنوير الجماهير ،ألف سؤال يطرح؛لما اغتيال المثقفين و السياسيين و رجال الدولة و الوطنيين من أمثال (اسماعيل يفصح،مصطفى عبادة،يوسف السبتي،قاصدي مرباح،الجيلالي اليابس،محمد بوخبزة،عبد الوهاب بن بولعيد،عبد الحق بن حمودة،عمّار قندوزي،محمد بوضياف،عبد القادر بن عودة،معطوب الوثّاس،عبد القادر بن حمودة و غيرهم)،و لم تتستنَ لعبة الاغتيال في الجزائر حتى المرأة(الأم،الأخت،الزوجة و البنت) رغم الدور البارز الذي لعبته هذه المرأة خلال ثورة التحرير،و يشهد لها بذلك الداني و القاصي،لقد اجتاحت الاغتيالات حتى الصحفيات و الموظفات و الشرطيات،و حتى الماكثات في البيوت تعرضّن للإختطاف و ما يتبعه.

و يعترف الأستاذ الجامعي و الصحفي (ب) في رواية المراسيم و الجنائز بحالة الخوف التي سيطرت عليه <<عندما أعرف بأنّ الحافلات كلّها متوقفة و أن الدبابات قد نزلت إلى الساحات و تشابكت مع المضربين...و أن جو الغبار و الرماد و التعفّن قد بدأ يتحكّم في سماء المدينة،كنت خائفا من الخروج و خائفا من الإنزلاق و السقوط بل خائفًا من الموت...>>[1]، و يتساءل هذا الأستاذ الجامعي و الصحفي، إن كان سيوضع في مكانه اللائق به،و يحترم في هذا الوطن بعدما شهد إهانة المثقفين أ ، و التنكيل بهم و بأبشّع الطرق:<< هل كانوا سيقدرونني حقًا أم كانوا سيفعلون بي المنكرات...مثلما فعلوا ب"عمر حلزون" الذي وُجدتْ رأسهُ مقطوعةً و مرمية في سلة المهملات و كلاب الليل تتناهش البقية المتبقية منها..."[2]،و يلعن المثقف هذا الوطن الذي استولى عليه المجرمون و لم يعد فيه أمل لتحقيق الأحلام،فهذا سمير الهادي في رواية "أرخبيل الذئاب" كما يقول الكاتب "ب" <<قد فتح زجاجة بيذ التي جاد بها منذ الصباح الباكر،ملأ كأسي ثم كأسه و رفعه لفوق ففعلت مثله ثم قال في نخبِ هذه المدينة اللعينة>>[3].

[1] بشير مفتي المراسيم و الجنائز،ص16.
[2] المصدر نفسه،ص10.
[3] بشير مفتي،أرخبيل الذئاب،ص26.

كانت الجزائر تعيش جحيمًا مُخيفًا حيث: استطاع الكثير من الأدباء إنتاج نصوص روائية تحمل تجربة عميقة و لصيقة بالفجيعة التي ألّمت بالجزائر في العشرية السوداء.

المبحث الثاني:المثقف كفاعل اجتماعي :

المثقف كفاعل اجتماعي رسالته لا تتمثل في القيادة السياسية للمجتمع فحسب ،فرسالة المثقف تكمن في توعية أوساط المجتمع فهو إنسان يفكّر بطريقة جديدة و إن لم يكن متعلمًا و إن لم يعرف الفلسفة و ليس فقيهًا و لا يهم،وليس عالم طبيعة أو كيميائيًا أو مؤرخا أوأديبًا،لكنه يَحس عصره و يفهم الناس و يفهم كيف يفكّر و يفهم كيف ينبغي له أن يحّس بالمسؤولية و على أساس هذه المسؤولية يكون مستعدًا للتضحية و في هذا يقول "أنطونيو غرامشي"أنّ بإمكان المرء القول إن كل س مثقفون،لكن ليس لهم كلهم أن يؤدوا وظيفة المثقفين في المجتمع وتشّكل سيرة غرامشي ذاتها نموذجا لدور المثقف إذ كان و هو العالم المتخصص في فقه اللغة منظما لحركة الطبقة العاملة الإيطالية ،كما كان في كتابته الصحافية أحد أكثر المحلّلين الإجتماعيين المولعين بالتأمل و التفكير عن وعي وإدراك و لم يكن هدفه إنشاء حركة اجتماعية فحسب،بل أيضا تشيد بنية ثقافية كاملة ،مرتبطة بهذه الحركة[1].إن مثقفي كل مجتمع هم نخبته،و عماد بنائه و درعه الواقي أمام الصدمات و عليه ففاعليته ن المجتمعات تعتمد على فاعلية مثقفيه داخله فالمثقف:<< فاعل إجتماعي قبل أن يكون مصباحا منيرا أو حجة عصره أو سيد قومه[2]>>، و في هذا يرى"إدوار سعيد " أنّ إحدى مهام المثقف هي بذل الجهد لتهشيم الآراء المقولية والمقولات التصغيرية التي تحد كثيرا من الفكر الإنساني والاتصال الفكري ،وقد وضّح سعيد في كتابه"خيانة المثقفين"اختلاف الآراء و التصّورات النظرية حول مفهوم المثقف و دوره كفاعل اجتماعي فيذكر تعريف "إدوارد شيلر" بأن المثقف هو ذلك الشخص المتعلّم الذي يمتلك طموحا سياسيا للوصول إلى مراكز صنع القرار السياسي،أو من خلال دوره المحوري الحاسم في توجيه المجتمع عن طريق التأثير على القرارات السياسية الهامة التي تؤثر في المجتمع ككل[3].

تحدّث الدكتور"علي شريعتي" ر المثقف كفاعل في المجتمع ضمن كتابه"مسؤولية المثقف"،موضحا أنّ مسؤولية المثقفين اليوم ودورهم في العالم يشبه أساسا الدور الذي كان يلعبه

[1] ينظر،ادوارد سعيد ،المثقف و السلطة ،ترجمة،محمد عناني،رؤية للنشر و التوزيع،القاهرة،الطبعة2006،1.

[2] محمد شوقي الزين،إزاحات فكرية،مقاربات في الحداثة و المثقف،منشورات الإختلاف،الجزائر،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،ط1،2008،ص98.

[3] ينظر،ادوارد سعيد،خيانة المثقفين،ترجمة حسين أسعد،دار نينوى،دمشق،2011.

الأئمة وقادة التغير و التبديل أي الأنبياء و الرسل و ئمة المذاهب في المجتمعات القديمة،فقد بُعث الأنبياء من بين الناس،وحتى في حالة عدم بعثهم من بين الناس كانوا يتوجهون إليهم على كل حال،وكانوا يقومون بخلق مبادئ جديدة ورؤى جديدة و حركة و طاقة جديدة في أعماق وجدان مجتمعاتهم و عصرهم،و هذه الحركة الثورية العظيمة التي يفجرونها و التي تحتث جذورا و تغرس جذورا و تغيِّر وتبدل،كانت سببا في تغير مصير مجتمع ساكن و منحط وراكد عن طريق الرسالة النبوية، لم يكن هؤلاء الأنبياء من بين العلماء السابقين و لا كانوا أيضا من العوام الذين يفتقدون إلى الوعي،و لك لأنهم التزموا بأعظم الأدوار في التاريخ و حركته و التغير المرتبط بالمجتمع الإنساني عموما و مجتمعاتهم خصوصا،فهم نوع ثالث،لا هم من العوام أساري التقاليد و نتاج الأطر الاجتماعية،ولا هم من طائفة العلماء و الفلاسفة و الفنانين والرهبان ورجال الدين الذين هم أيضا أسرى مفاهيمهم هنية و الروحية و غرقى في كشوفهم و كراماتهم العلمية و الباطنية،ومن هنا فالمثقفون نظراء الرسل،و ليسوا من طائفة العلماء أو من العوام المنحطين فاقدي الوعي،لكن المثقف واعي مسؤول أعظم مسؤولياته و أهدافه منح بني البشر الوديعة الإلهية الكبرى أي المعرفة و الوعي،و ذلك لأن الوعي يبدل الجماهير الضعيفة الراكدة،إن دور المثقف في زمانه ومن مسؤولياته هي القيام بالنبوة في مجتمعه حين لا يكون نبي،و نقل الرسالة إلى الجماهير،و مواصلة النداء نداء الوعي و الخلاص والإنقاذ في أذان الجماهير الصماء التي أصيبت بالوقر و بيان الاتجاه والسبب وقيادة الحركة في المجتمع المتوقف،و إضرام نيران جديدة في مجتمعه الراكد،وهذا عمل لا يقوم به العلماء،لأن هناك مسؤولية على عاتق العلماء محددة تماما و هي منح الحياة أكبر قدر ممكن من الإمكانيات،و معرفة الوضع اهن وكشف قوى الطبيعية و الإنسان و استغلالهما،إن العلماء و الفنيين والفنانين يمنحون المجتمع ال و مجتمعهم قوة علمية بوجودهم،لكن المثقفين يعلمون المجتمع كيفية السير و يمنحونه الهدف،و يضيئون الطريق للحركة،إن العالم موجه و مانح الرفاهية الإنسان ومتعته و ضامن لها،وموكّل بمنح الإنسان القوة و الراحة و السعادة،و هو في النهاية يكتشف الواقعيات،لكن المفكر هو الذي يهدي إلى الحقائق،إن العَالِم يقول :(هذا الأمر هكذا)أما المثقف فيقول :لا ينبغِ أن يكون الأمر

هكذا بل كذلك،إن العالم يصنع مصباحا على الطريق أو أمام ضال،والمثقف يرشد إلى الطريق و يدعو إلى السفر،و يدل على بداية الطريق و هو نفسه رائد القبيلة و حاذي القافلة و من هنا يسقط الحاكم أحيانا أداة في يد الجهل و الجور،لكن المفكر هو بذاته و بالضرورة الماضي للظلام والظلم فالعلم قوة لكن الفكر نور،وأعظم مسؤوليات المفكر في مجتمعه هي أن يجد السبب الأساسي والحقيقي لانحطاط المجتمع،ويكتشف السبب الأساسي للركود و التأخر و المأساة بالنسبة لمواطنيه و جنسه و بيئته،ثم يقوم بعد ذلك بتنبيه مجتمعه الغافل و الغائب عن الواعي إلى السبب الأساسي لمصيره و لقدره التاريخي المشؤوم و يبدي لمجتمعه و الهدف و أسلوب السير الصحيح الذي يلزمه من أجل أن يتحرك و يتخلص من هذا الوضع،و يحصل على الحلول و اللازمة لشعبه على أساس إمكانيته واحتياجاته وآلامه[1].

للمثقف دور قياسي،هو المشاركة المباشرة في الحياة العلمية،وبنائها و تنظيمها،ومن دون هذا الدور سيتحول إلى مثقف اختصاصي فقط يعيش حياته كفارس منابر،لذا يجب على المثقف أن يحول الكلام إلى فعل،و النظرية إلى ممارسة ليتمكن من تحقيق الغاية البعيدة المنوطة به،ألا وهي تغير عقلية لمجتمع و توعيته،و تعويده على تحكيم العقل و المنطق،بدل الأهواء و المصالح الأنية[2].فالمثقف المبدع هو الذي يحمل أراء خاصة و مواقف محددة واضحة و صريحه تجاه مجتمعه و أفراده أو تجاه قضية معينة (سياسية،اقتصادية،أخلاقية،دينية...) أو ظاهرة سادت وانتشرت في مجتمع ما محاولا إبداء رأيه و إقناع الأخرين و حل المشكلات،و نقد المجتمع،و الوقوف ضد السلطة التعسفية و البراغماتية سواء كانت سلطة سياسية أو غير سياسية،فهو بذلك يحمل إيديولوجيا خاصة به تميزه عن غيره و تجعله في صراع دائم مع قوى مختلفة . هكذا يكون دور المثقف المثالي أو المثقف الذي يقوم بدوره كفاعل اجتماعي فعلا،و على مرَّ العصور كانت دائما بذور التغير تكون من الطبقة المثقفة،هي الراعي الرسمي دائما للثورات داخل المجتمعات،كالثورة الفكرية.

[1] ينظر علي شريعتي،مسؤولية المثقف،ترجمة ابراهيم الدسوقي ،بيروت،لبنان،دار الأمير،الطبعة الأولى،2005.

[2] ابن عبد الحي محمد،المثقف المنزلة و الدور 1992 ،مجلة المعرفة،العدد 347،ص137.

ولكن إذا تأملنا قليلا واقع المثقف العربي و واقع الثقافة العربية،إن صح التعبير لوجدنا تلك القطيعة بين مراد التغير باعتباره الهدف الأساسي و مسايرة الراهن باعتباره وسيلة لبلوغ الغاية المنشودة،ذلك أن الخاصية التي يطلقها "إدوارد سعيد " على طبيعة المثقف عموما أنّه <<شخص يراهن بكل وجوده على حس نقدي،حس عدم الإستعداد لقبول الصيغ السهلة،أو الأفكار المبتذلة الجاهزة>>[1]،و كأنه يريد لهذا المثقف أن يكسر المثال متفقا مع المفكر الرائد "جورج طرابيشي " الذي يعتبر المثقف هو الناطق باسم المثال و المثال يستمد فعاليته و أخلاقيته معا من تعاليه على الواقع و من كونه ضابطا لهذا الواقع[2]،و القطيعة هنا نقصد بها المثقف السلبي ،الذي يعجز عن مواجهة ما يحدث،وعدم فعل أي شيء من أجل مجتمعه،هكذا كان حال أغلب مثقفي المجتمعات العربية،مثقف جبان يختبيء في جحره طلبًا للسلامة الشخصية في حين يعرض مثقفي أوربا أنفسهم للمتاعب في سبيل المصلحة العامة،و بالرغم من وعيه بمعرفة ضرورة أداء دوره لكنّه لا يقوم به لأن الأنانية و الجبن يمنعانه من ذلك.

ربّما سقوط الجزائر في هوة سحيقة كالتي سقطت فيها تسعينات الألفية الثانية،كشفت عن دور المثقف الذي لم يعد يُعوَّل عليه في حل مشاكله و بذلك تصدق مقولة "موت المثقف"،و يظهر هذا في أغلب الشخصيات المثقفة في الرواية الجزائرية فأغلب شخصيات هذه الروايات <<انهزامية تقوقعت أمام هول ما حدث و غرقت في الأسى و الفجائعية>>[3]،و تندرج هذه الروايات ضمن نوع من الكتابة يعرف بالرؤية الفجائعية ، فيها يرى الروائي حال البلاد و الإحساس الطافح للمثقف بالفشل و العجز و الضياع و رؤيته السوداوية لذاته و للعالم،فالمثقف يزدري ذاته و لا يثق فيها و يحتقرها و يرى أنها لا تصلح لشيء،و يدين العالم من حوله لأنه سبب ما فيه من ضياع و ألم،و يرى " سارتر " أنه ليس من حق المجتمعات لوم مثقفيها و اتهامهم ذلك المثقف : <<الشاهد على المجتمعات الممزقة نجه،لأنه يستبطن تمزقها بالذات،و هو بالتالي ناتج تاريخي،و بهذا المعنى لا يسع أي مجتمع أن

[1] ادوارد سعيد،الألهة التي تفشل دائما،ترجمة حسام الدين خضور،التكوين،دط،2003،ص35.

[2] جورج طرابيشي،هرطقات عن الديمقراطية و العلمانية و الحداثة و الممانعة العربية،رابطة العقلانين العرب و دار الساقي،لبنان،ط1،2006،ص117.

[3] سعاد حمدون،صور المثقف في روايات بشير مفتي،ص54.

يتذمر و يشتكي من مثقفيه من دون أن يضع نفسه في قفص الإتهام،لأن مثقفي هذا المجتمع ما هم إلا من صنعه و نتاجه >>[1]. في حين أن هناك من بينهم و يحملهم مسؤولية ما آل إليه الوطن من سوء : (الخيبة...العدمية...الإغتيال...الإنكفاء...) وهي مفاهيم توحي بالتشظي و العجز و الفشل نحمل وزرها مثقف الحالة الراهنة ،كان يتوقع في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين،تبلوّر الجيل الذي سيحمل مشعل الأمل في التغيير و الديمقراطية و الحرية،لولا أن طامّة العشرية السوداء داهمته و أتت على كل الأحلام العريضة للمثقف،بالإضافة إلى ذلك تمت تصفية و اغتيال أبرز الوجوه الثقافية التي كانت تحمل مشروعًا حقيقيا،<<لقد ارتطم هذا الجيل بصخرة الإرهاب و انكسر فوقها>>[2]، فالويلات التي عانى منها الجزائري خلال فترة المحنة لم تكن تسمح للمثقف الجزائري بممارسة وظيفته الاجتماعية ،لكن اليوم ما الذي يمنعه من القيام بدوره في مجتمعه،يقول عبد الله الهامل :<< إنه بعد كل هذه السنوات من تلك المحنة،التي كانت استنزافا بشعا لكل الإرث الرمزي الذي حققته نخبة جزائرية،لها ما لها و عليها ما عليها،تجد بقايا هذه النخبة المنتكسة و المحرومة و المسكونة باليأس نفسها اليوم،أمام واقع لا تفهمه و لا تملك الأدوات الاجرائية لتحليله و تفكيكه>>[3]،و هذا يعني أن دور المثقفين ظل غائبًا إلى اليوم ،و هذا ليس حال المثقف الجزائري فحسب بل حال المثقفين العرب أغلبهم،السؤال الذي يظل مطروحا،سؤال عن المثقف و عن النخبة،أين هم من الربيع و التغير،هاتان الكلمتان لم تأتيا عفو الخاطر و تدخل قاموسنا العربي إلا بعد الثور ت التي شهدتها تونس و مصر و من و ليبيا و سوريا،لا ندري إن كانتا تحملان نفس المعنى الذي تعنيانه لدى الجميع،أم أنهما مجرد كلمتين مفرغتين من محتواهما و وتران يتم العزف عليهما لاستمالة العواطف و تضليل الأخرين،و يبدو اننا بصدد تراجع دور النخبة المثقفة لأن ما نراه ظاهريا أن هناك انتفاء لدور النخب في إدارة الثورات،فالثورة تحتاج إلى نظرة متبصرة و رؤية استشرافية لا يمكن أن تتحقق إلا بمساهمة المثقفين باعتبارهم الضمان الوحيد لبدء فعل التغير الذي لا يمكن أن يتجسَّد على أرض الواقع إلا إذا تبلوّر

[1] جان بول ساتر،دفاع عن المثقفين،ص34.

[2] اسماعيل مهنانة،كلمة مثقف أصبحت تحيل إلى "وضعية"،جريدة الخبر،17مارس2015.

[3] عبد الله الهامل،المثقفون اليوم لا يملكون أدوات فهم الواقع،جريدة الخبر،17مارس2015.

بشكل حقيقي على الصعيد الوجداني العميق، و ما يلاحظ في بلادنا هو غياب الدور النقدي و العضوي للمثقفين المعرّبين الذين يبدون في حالة ذهول و عطالة و نستطيع القول بأن هذا هو السبب الرئيسي لفشل الربيع العربي او ما يعرف بثورات التغير، إذ أصبح المثقف يلعب دور المتفرج و تخلّى عن دوره كفرد اجتماعي فعّال.

ن،المجتمع العربي اليوم هو بحاجة ملّحة للمثقف،في ظل الحالة التي يشهدها،أما في الغرب فإن المثقف قام بدوره (نشر الوعي ثم المعرفة)،و يمكنه الأن الاستغناء عن دوره و الاعتكاف بعيدا راسما على ثغره ابتسامة الانتصار،أما المثقف العربي فعليه التشمّير على سواعده لبدء معارك ضارية ضد التخلف،و التسلط،و على مستويات عديدة و ذلك بنشر الوعي و تحديد السبل،وهو ما يلزمه من الوقت الكثير.

المبحث الثالث:اغتراب المثقف :

جاء في "معجم الوسيط " اغترب،بمعنى نزح عن الوطن،و غرّب في الأرض أي أمعن فيها فسافر سفرا بعيدا، وغرّب عن وطنه،غرابة،بمعنى ابتعد عنه[1].و في " لسان العرب " الغرب بمعنى الذهاب والتنحي عن الناس ، وغرّبه ؛ نحَّاه ، والغربة والغرب بمعنى النزوح عن الوطن و الاغتراب ، فالغريب بعيد عن وطنه ، والجمع غرباء[2].

أما اصطلاحا فقد لاقى مفهوم الاغتراب الكثير من الاهتمام لمحاولة ظبطه،و نظرا لتعقد هذا المفهوم و تعدد وجاهته ولارتباطه الوثيق بجذوره الفلسفية إذ يعتبر " هيجل " أن <<الاغتراب يعني انفصال الذات الإنسانية ككيان روحي تنفصل عن وجوده ككائن اجتماعي،كما اعتبره أيضا في طرح أخر تنازل الإنسان عن استقلاله الذاتي و توحده مع الجوهر الاجتماعي>>[3] ،و يقصد بالاغتراب تلك الحالة المركبة من الشعور بالغربة إذ أن الاغتراب هو شعور أولاً،أي ظاهرة سيكولوجية،الغربة التي تتخذ مستويات متعددة،بدءاً من الشعور بانفصال الذات عن الآخرين وعن محيطها و عن معطيات هذا المحيط،فالذات المغتربة هي الذات المعزولة،الذات التي فقدت قناة التواصل،وفرصة التواصل،وهذه الذات تنكفئ على نفسها،وتؤثر الصمت غالباً على الكلام ، و يمكن تعريف الاغتراب بأنه هو الحالة التي يتعرض فيها الإنسان إلى الضعف و العجز و الإنهيار في شخصية،أي جانب احساسه بالانفصال عن المجتمع و الانسلاخ عن الثقافة الاجتماعية السائدة فيه. "إن مفهوم الاغتراب يمكن أن يحمل معنى مستحسنا إذا ما نظر إلى المغترب بوصفه منفصلا عن مجتمعه،و إذا ما كان متميزا عن الأخرين بفكره الفريد الصادق و تطلّعاته الحداثوية ، فهو ان كان في وطنه و بين أترابه و جيرانه،غريبا في أرائه بعيدا في تطلعاته،و هذا ما يطلق عليه البعض اغتراب المثقف،و لاغتراب هو صناعة سلطة ما وممارساتها في معظم الأحوال ، و قد يمكن الشعور بالاغتراب

[1] معجم الوسيط ، إعداد إبراهيم أنيس وآخرون (باب الغين) ، الجزء 2 ، ط2،ص 647 .

[2] لسان العرب المحيط لابن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت ، ج2، ص966 .

[3] جديدي زليخة،الاغتراب،مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية،العدد الثامن ،جوان2012،جامعة وادى سوف،الجزائر،ص348.

ل الوطن أيضا وهي حالة الكثير من المثقفين في كثير من المجتمعات و العربية بصفة خاصة و مجتمعات العالم الثالث و التقليدية.

يبدو أن الاغتراب كان قدر الشعراء القدامى <<و كأمثلة موجزة على وجود كلمة غربة بمعناها الظاهر و الباطن ، لدى العديد من الشعراء الجاهليين و العباسيين لإبراز قدمها،ففي العصر الجاهلي مثلا نجد أحسن معبر عن حالة الاغتراب ما تعلّق بالوقوف على الأطلال و البكاء على الحبيب الذي صوّر شجون الشاعر من خلاله حنينه و انهياره النفسي،و العاطفي كنوع من أنواع الاغتراب ألا وهو الوجداني المعبر عن متاعب الاغتراب التي عرفها الجاهلي>>[1].

فقد تغرّب امرؤ القيس حين أنكر عليه أبوه في قول الشعر والإنكفاء على الذات كما عانى طرفة بن العبد من الاغتراب حين خرج على مجتمعه وتمرّد على قيم القبيلة فتحامته العشيرة ،وعرف عنترة العبسي الاغتراب بسبب لونه ونسبه لأمّه وهي الأمَةَ الحبشية ، و من العصر العباسي نجد أبو تمام الذي عانى من اغترابات شتى : مكانية واجتماعية ونفسية حتى آمن بأن الاغتراب هو التجدد ، وارتبط الاغتراب بحياة أبي الطيب المتنبي أيما ارتباط فكان نسيج وحده ، افرده الهّم مثلما افرده الحسد،وعاش الشريف الرضي اغترابات حادة على رأسها اغترابه الروحي الذي تلبسه بسبب مآسي سلالته الهاشمية ، فإذا ما اقتربنا من أبي العلاء المعري أطْلّلنا على ذروة اغتراب النفس ، واغتراب المكان واغتراب الجسد ، وكان لأبي فراس الحمداني اغترابه هو الآخر بسبب مرارة الأسر وعذابات الشوق والحب ، إن تجربة الاغتراب عند أبي فراس الحمداني تجربة قاسية موحشة فقربة الأهل و الأم و صدقاء كانت تزيدها غربة الأسر و السجن،إنها تجربة انسانية فريدة من نوعها في شعرنا العربي فقلّما نزفت جراح شاعر مغترب بمثل ما نزفت به جراح أبي فراس في رومايته.وهكذا يتكشف لنا الاغتراب من خلال أولئك الشعراء وسواهم عن نفوس طامحة وأرواح مجنحّة تاقتْ إلى العلو ووجدت في الأرض جحيماً لا يُطاق.

[1] سماح بن خروف،الاغتراب في رواية كراف الخطايا،مذكرة ماجستير،قسم اللغة و الأدب العربي،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2012،ص15.

عندما نتحدث عن اغتراب الأديب العربي نتيجة ظروف اجتماعية و أخرى سياسية ،فإننا أمام مسألة اغتراب المثقف بطبيعة الحال فالشاعر مثقف و الكاتب مثقف و الروائي مثقف،والشاعر ليس ذلك الذي نفي بعيدا عن أهله فحسب،بل حتى المعارض لسلطة المجتمع أو سلطة ناكم يشعر بأنه خارج المجتمع و مهمَّش بسبب أفكاره التي يحملها أو ايديولوجياته الخاصة به فلم تلقى ترحيبا من طرف مجتمعه أو السلطة و هنا نقصد سلطة الحاكم،و نستطيع أن نرى هذا إذ ما رنا في حياة الشعراء المعاصريين الذين عانوا الاغتراب حتى داخل أوطانهم،و التهميش المتعمَّد من قبل المجتمع فالشاعر "**عمر أزراج**"مثلا "يعد من الشعراء الجزائريين المعاصريين الذين قاطعوا القصيدة العمودية و كتبوا على طريقة التفعيلة،كما أن الشاعر عاش الاغتراب خارج الوطن بسبب انتقاده سيادة الحزب الواحد و دعوته إلى التعددية الحزبية من خلال قصيدته المشهورة "العودة إلى تيزي راشد " فيقول فيها *أيها الحزب تعدد أو تجدد أو تبدد * "[1]، اغتراب "عمر ازراج " كشاعر يحمل أفكاراً تعارض سياسة الدولة و أفكار مجتمعه الذي يعيش سباتا فكريا و يمشي وراء أفكار السلطة الحاكمة،كل هذا خلق لديه حالة اغتراب و كأنه يخاطب مجتمع لا يفقه آراءه ، واغتراب المثقف لا يأتي من فراغ،فالعنف الذي شهدته الشعوب العربية و ما خلفه من خراب و الفوضى اللامحدودة،يعود على المثقف بإحساس الإغتراب داخل وطنه،و ينتابه احساس طاغي باللانتماء،كالعنف الذي شهدته الجزائر خلال تسعينات الألفية الثانية ، و إضافة إلى العنف كسبب من أسباب اغتراب لمثقف نجد كذلك تهميش المجتمع للمثقف و افتقاده لدور يؤديه فيه،و من إحساسه بافتقاد المكانة التي يستحقها.

تتضمن مسألة اغتراب المثقف التي يكثر الحديث عنها،إشكاليات لا بد من الوقوف عليها،إن لمثقفين باتوا يشعرون انّهم خارج التاريخ، وفي الحقيقة ليس هناك أحد خارج التاريخ؛المثقفون في التاريخ،ولكن تاريخ بلادنا و ثمة تاريخ لمجتمعاتنا هو بالأحرى تاريخ متخثر، تاريخ راكد ودوراني،حركته حركة اعتماد،أي دوران حول الذات ومراوحة في المكان،المثقفون العرب مع مجتمعهم وأمتهم داخل هذا

[1] علاء مداني،الانزياح في شعر عمر أزراج،ديوان العودة إلى تيزي راشد، عينة،مذكرة ماجستير،قسم اللغة و الأدب العربي،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة،2011،ص2.

التاريخ المتخثر وجزء من أزمة الواقع،أو جزء من واقع مأزوم،تقدمه محتجز و ملجوم بفعل عوامل داخلية وخارجية متضافرة. ويكاد المرء يشك في أن لدى هؤلاء،مع كل التحفظ والاحترام،ميلاً أو الواقع و يشك المرء في أن لدى هؤلاء نزوعاً للخروج من المأزق وحل مشكلات من المأزق الذي وجدوا أنفسهم فيه.تصورات واقعية وعملية للخروج يقول "**إدوارد سعيد** " :<<أن المثقف المنفي أو الهامشي أو الهاوي هو ذلك الذي يقوم بدور اللامنتمي،ويحاول تحطيم القوالب الجامدة والأنماط الثابتة والتعميمات الاختزالية التي تفرض قيوداً شديدة على الفكر الإنساني وعلى التواصل ما بين البشر>>[1].المثقف المنفي الذي تحدث عنه إدوارد سعيد هو المثقف النافي(النافي اسم فاعل) الذي،إذ يقوم بمهمته أو وظيفته التي اختارها لنفسه،لا يختار نفسه فقط،بل يختار نموذج النوع الذي ينتمي إليه،ونموذج المجتمع الذي يصبو إليه،يختار النموذج الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان هنا وهناك،وإلا لما كان منفياً. مهمة المثقف أو رسالته إنسانية بامتياز وكونية بامتياز، تنطلق من واقع الشقاء الإنساني،في العالم،انطلاقاً من واقع الشقاء الإنساني في مجتمعه.

المثقف الحق ينفر من التبعية لأي سيد والإذعان لأي سلطان،ولذلك هو منفي و مُهمّش. التجارب التاريخية في العالم العربي تشير إلى آفة الاغتراب والتهميش والإقصاء الذي عانى وما زال يعاني منها المثقف العربي عبر الأجيال والعصور ففقدان الحرية والديمقراطية وانتهاك حقوق الإنسان كلها عوامل أدّت إلى اغتراب المثقف العربي وتهميشه سواء داخل وطنه حيث أصبح من الغرباء فيه لا يتعرف عليه ولا يتفاعل معه كما ينبغي لأنه إذا فعل ذلك مصيره يكون مجهولا،أو أننا نجده يلجأ إلى الهجرة طلبا للحرية ولمتنفس يجد فيه مجالا للتفكير والإبداع،لكن تبقى الغربة والعيش خارج المحيط الطبيعي للمثقف بمثابة الموت البطيء،فنجد مثقفين كثر يعيـ ن حالة اغتراب داخل أوطانهم و الأكيد ان لهذه الحالة اسباب و دوافع،<<إن اغتراب هذه الشخصيات هو نوع من الاحتجاج على .ة الظلم في المجتمع،فهذه الشخصيات المثقفة غير راضية بمجتمعها و واقعها،و ورافضة لثقافة

[1] ينظر،إدوارد سعيد،المثقف والسلطة،ص26.

المجتمع و اخلاقه و قيمه و مؤسساته،انها شخصيات لنت قطيعتها مع المجتمع و اختارت العزلة أو العيش في القبو بعيدا عن الناس [1]>>.

والمثقف مهما كانت الصعاب والمشاق والمشاكل والعراقيل يبقى دائما مسؤولا إزاء مجتمعه لتحقيق الأهداف النبيلة التي يناضل من أجلها،وهي العدالة والمساواة والحرية والقيم الإنسانية النبيلة،ومن أهمها توفير الظروف المناسبة للفكر والإبداع إشكال آخر مهم جدا ضمن سياق ظاهرة اغتراب المثقف يتمثل في الرقابة الذاتية وممارسة الانسلاخ الإرادي ،المباشر من المجتمع والعيش في ضفافه و وقشوره وهذا موت بطيء آخر يعاني منه المثقف العربي وهو نوع من الانتحار حيث لا يستطيع المثقف أن يجرؤ على التعبير عما بداخله،و لا يستطيع أن يضع أفكاره في خدمة المجتمع وخدمة المهمشين فالإشكال هنا يتمثل في التقرب من السلطة وهذا يعني بعبارة أخرى الانسلاخ عن الجماهير،أو التقرب من الواقع ومن الجماهير،وهذا يعني غضب السلطة على المثقف وإسكاته أو تهميشه بطرق مختلفة ،البعض منها مُعلَن و البعض الأخر خفي وضمني. وفي كل هذا نجد أنّ << نهاية المطاف هو الخاسر الكبير لأن المجتمع الذي لا يملك نخبة من المثقفين العضويين ونخبة من المفكرين تدرس وتبحث وتستقصي وتنتقد وتقف عند سلبياته وهمومه ومشاكله وتناقضاته وإفرازاته المختلفة لا يستطيع أن يكون مجتمعا يتوفر على شروط النجاح والإبداع والتحاور والنقاش البناء والجاد بين مختلف الفعاليات والشرائح الاجتماعية>>[2].

يشعر المثقف في الوطن العربي و مثقف العالم الثالث بصفة عامة، أنه في طليعة مجتمعه المتغير،ويشعر في الوقت نفسه أنه غريب عنه،مهما تبنى طموحات هذا المجتمع وكرَّس نفسه لرغائبه،و غالبا ما تتجه هذه النخبه التي تشعر بالاغتراب داخل أوطانها إلى المنفى،يقول **ادوارد سعيد** : <<النفي واحد من المصائر الأكثر حزنا >>[3].

[1] محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2000،ص123.

[2] محمد قيراط،في ثقافة الاغتراب والتهميش(جريدة الشروق07-04-2010).

[3] إدوارد سعيد،الآلهة التي تفشل دائما،ص61.

قبل الأزمنة الحديثة كان النفي على وجه الخصوص عقوبة فظيعة نظرا لأنها لم تكن تعني سنوات من التجوال بلا هدف بعيدا عن الأهل و الأمكنة المألوفة فقط،بل عنت أيضا نوعا من منبوذ باستمرار،شخصا لم يشعر أبدا بالألفة،ودائما في نزاع البيئة،لا عزاء له حول الماضي،و يشعر بالمرارة حول الحاضر و المستقبل،كان ثمة ربط دائم بين فكرة النفي و مظاهر الذعر من أن يكون المرء مصابا بالجذام،منبوذا اجتماعيا و أخلاقيا.في هذا نجد مثالا عند "ادوارد سعيد " في كتابه الألهة التي تفشل دائما فيقول "سليم الشخصية الرئيسية في رواية نايبول منعطف في النهر مثال مؤثر للمثقف المعاصر في المنفى :مسلم شرق افريقي من أصل هندي،ترك الساحل ورحل إلى الداخل الافريقي،حيث عاش على نحو غير مستقر في دولة جديدة على غرار زائير في عهد موبوتو،قدرات نايبول الاستثنائية وحسه المرهف كروائي مكنته من رسم صورة حياة سليم عند منعطف في النهر " كنوع من أرض لا مالك لها،حيث يأتي المستشارون الأوربيون (الذين يخلفون المبشرين المثاليين للعهود الاستعماريه)،بالإضافة إلى المرتزقة و طالبي الربح السريع الفاحش،و حطام و نفايات العالم الثالث الأخرى التي يجبر سليم على العيش في جوها،فيفقد ملكيته تدريجيا و استقامته في الفوضى المتزايدة بنهاية الرواية و هذه طبعا وجهة نظر نايبول الايديولوجية المثيرة للنقاش حتى السكان الأصليون و يصبحون منفيين في وطنهم فنزوات الحاكم،الرجل الكبير،منافية للعقل جدا و شاذة و قد أراد نايبول أن يجعل منه مثالا لكل أنظمة الحكم ما بعد الكولونيالية "[1]، من خلال هذا المثال نستطيع أن نلاحظ أن الاغتراب يعيشه كل من المثقف الذي بين أهله و في بلده و المثقف المنفي،على حد سواء.فالواقع بالنسبة لمعظم المنفين هو أن الصعوبة لا تكمن ببساطة في الإجبار على العيش بعيدا عن الوطن،بل الأصح العيش مع أشياء كثيرة تذكرك أنك منفي و أن وطنك في الواقع ليس بعيدا جدا و أن الحركة العادية للحياة اليومية المعاصرة تبقيك في اتصال دائم مع المكان القديم لكنه اتصال معذب لأنه يقرب أشياء لا سبيل على تحقيقها،لذلك فإن المنفي يحيا في حالة وسط وحيدا تماما مع البيئة الجديدة و لا هو تخلص بالكامل من القديمة،مشتاقا إلى الماضي و عاطفيا من جهة،و مقلدا

[1] ينظر،المرجع السابق،ص61.

بارعا أو منبوذا غامضا من جهة أخرى،النموذج الذي يشرع الطريق للمثقف كدخيل تمثله حالة المنفي،حالة عدم التكيف والشعور أنه خارج العالم المألوف المنفى للمثقف في هذا المعنى الميتافيزيقي هو القلق،الحركة،و عدم الإستقرار بشكل متواصل و إقلاق الأخرين،لا تستطيع أن تعود إلى حالة ما مضت و ربما مستقرة أكثر من الوجود في البيت،و للأسف لا يمكنك أبدا أن تنجح على نحو كامل،وتنسجم مع ملجئك أو وضعك الجديد.

المبحث الرابع:المثقف والسلطة.

كثيرة هي الدراسات و الندوات و الملتقيّات التي نُظِّمت من أجل الحديث عن علاقة المُثقف بالسلطة،و إن اتفقّت معظمها على علاقة التنافر و الصراع و الصِدام،إذ "ارتبط منذ القديم وضع المثقف و موقعه بوضع السلطة و موقعها،و إن العلاقة بين هذين القطبين تحكمها إمّا حالة الصراع أو حالة الهدنة و ذلك حسب الهوية الطبقية بين كل من المُثقف و السلطة"[1].

تعددت الآراء و المواقف الفكريّة حول مفهوم أو تعريف السلطة،بيد أنّ جُلّ ما جاء حول هذا المفهو كان يُشير إلى أنّها هي الدولة أو الحكومة،أو هي القوّة المنتميّة إلى النظام الرسمي الدولاني تي،مُمَثلة بالقوى الحاكمة،التي تستطيع أن تُهيمنَ على حياة و مقدرات الشعب،و تفرض الجزاءات بسلبِها و إيجابها على أفراده،عبر مؤسساتها التنفيذية و القضائية و التشريعية...إلخ،أو بتعبير آخر هي وسيلة ماديّة أو معنوية تمتلك بجوهرها قوة إخضاع للفرد و المُجتمع سلبًا أم إيجابًا،و وفقًا لرغبة مصالح منتجها و حاملها الإجتماعي،انطلاقًا من الفرد مرورًا بالطبقة وصولًا إلى المجتمع ككلّ. و وفقًا لهذا المُعطى،نجد للدولة و سلطتها،و للمجتمع سلطتهُ،و للطبقة سلطتها،و للفرد سلطتهُ. فسلطة الدولة تتمثّل في ايديولوجيتها و في قوانينها و أنظمتها و الشخص الحاكم و الطبقة التي يمثلها ففي المجتمع تتجلّى في تقاليده و أعرافه، و كذلك في سلطة عشيرته و قبيلته و طائفته،كما تتجلّى السلطة في قوة و مكانة شيخ العشيرة،و في الثقافة تتجلّى السلطة في إبداعات الفنّان و الأديب و الفيلسوف،و في الصحافة و الإعلام،و فيما يسوق لهذه القوى الإجتماعية أو تلك من مشاريع فكرية أو إيديولوجية...إلخ.

يعيشُ المُثقف أو المفكّر كغيره من الأفراد في مجتمع ما،و ينتمي إلى جنسية معينة لها لغتها و تقاليدها و ظروفها التاريخية فإلى أي مدى يمكن اعتبار المفكّرين خدمًا لهذه الحقائق الواقعية،و إلى أي حد يُعتبرون أعداءً لها.ويصدق هذا التساؤل على علاقة المثقفيّن بالمؤسسات (الجامعة،الكنيسة،النقابة) و بالسطات الدنيوية التي استقطبت ظبقة المثقفين في زمننا إلى درجة

[1] سهيل لعروسي،إشكالية الثنائية في الثقافة العربية،مجلة الفكر السياسي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،العدد10،9أكتوبر،ص24.

فذّة،كما يقول "إدوارد سعيد" <<يسوقون الناس جميعًا و يصيحون بهم بالولاء للدولة.و هكذا فإنّ الواجب الفكري اليوم هو نشدان التحرّر النسبي من أمثال هذه الضغوط،و من هنا تنبع صورة المفكّر المنفي أو الهامشي أو الهاوي.صورة تحاول أن تنطق بالصدق في وجه السلطة>>[1].

الإشكالية التي تطرح هنا،هي ماهية و طبيعة العلاقة التي يقيمها المُثقف مع الجهات المُختلفة في المجتمع،و هنا نقف عند علاقة المثقف بالسلطة،هل هي علاقة تملّق و ذوبان في هذه سلطة،علاقة مدح و تسبيح و تبرير لسلوك السلطة؟،أم أنّها علاقة نقد و استقصاء و مراقبة و نقد ذاتي و حوار و نقاش و شفافية للقضاء على الرداءة و تشجيع النجاح و الإبداع و التميّز؟، علاقة المثقف بالسلطة علاقة تناف مُتبادل،فهو يعمل على نفي جميع السلطات القائمة،لتقوم محلّها سلطات أخرى أدنى إلى العدالة،و أكثر استجابة لمطالب الروح الإنساني، و جميع السلطات القائمة تعمل على نفيه،و هذه أيضًا علاقة قوة أي؛علاقة سلطة.

قول الحق للسلطة ليس مثالية مفرطة بالتفاؤل إنه تأمّل حذر بالبدائل المُتاحة،و اختيار البديل الصحيح، ثم تقديمه على نحو عقلاني حيثما يمكن أن ينجح و يحدث التغيّر المناسب[2].

المثقّف الحق هو ما يقاوم جميع أنواع السلطة و جميع أشكالها فإن ما يمثل وعي المثقف أو المفكر هو روح المعارضة لا القبول و التناغم،فما تتسّم به الحياة الفكرية من جاذبية و تحديّات يكمن في الخلاف و الإنشقاق و الخروج على الراهن.[3]

في كتابات الطاهر وطّار "نجد أن السلطة في نظره تسعى للسيطرة على مجتمعه لضمان استمراريتها و لتنفيذ برامجها فالمثقف هو المالك لذلك الفكر النقدي و هو المتحدّي و الثائر يقع في الأخير في مصيدة الرهن و التهميش"[4]،فكثيراً ما يدفع المثقف ضريبة أفكاره و أرائه التي يحملها و يطرحها و عادة ما تكون معارضة للسلطة الحاكمة للبلاد فيكون جزاءه إمّا الزج بهِ في السجون أو النفي خارج البلاد.و في هذا يقول "واسيني الأعرج" في حديثه عن المُثقف المضطهد :<<أعطني الحق

[1] ينظر،ادوارد سعيد المثقف و السلطة، ص26.
[2] ادوارد سعيد،الألهة التي تفشل دائما، ص117.
[3] ينظر،المرجع نفسه،ص28.
[4] علجية مودع،هامشية المثقف و رهانات السلطة،مجلة المخبر،العدد السادس،جامعة محمد خيضر،بسكرة،الجزائر،2010،ص07.

في أن أؤمن أو لا أؤمن،لماذا كان مصير كل من كسر هذه الحلقة أمام السلطة تعرّض للقتل في النهاية،من حقي أن أكون مسلم أو مسيحي أو يهودي،ما علاقة كل ماهو ديني بالديمقراطية،عندما نصل نحن إلى هذه المرحلة و يتحوَّل الدين إلى قضية شخصية يصير الأمر حضاري،فالمثقف يلعب دوره لو ننظر للميراث العربي في الرواية،الشعر،الفكر...إلخ،سنجد ميراث لا بأس به من حيث التنوير الرغبة في الخروج من الدائرة الدينية،لكن هؤلاء صوتهم لا يصل لأن الأنظمة العربية أو صاحب القرار هو الأساس ليس المثقف أو الكاتب>>[1]،و قد تناول "واسيني" قضيّة المُثقف المُضطّهد في رواية "ذاكرة الماء" فالكاتب يبدأ الحديث في روايته من ذاكرته المُنهكة التي أرقتّها المأساة و الفجيعة و السوداوية،<<هو ذاكرتي أو بعض منها،ذاكرة جيلي الذي ينقرض الأن داخل البشاعة و السرعة المذهلة و الصمت المطبق،ذنبه الوحيد أنّه تعلّم و تيّقن أنه لا بديل عن النور سوى النور في زمن قاتم نزلت ظلمتهُ على الصدور...>>[2]، السلطة هنا كانت القتَلة الذين يجعلون من المثقفيّن شيوعيين و كُفارًا و يغتالون العلم،و الثقافة،و يغتالون حتى البراءة.

و من المواضيع الأساسية التي ارتبطت بظهور الرواية العربية،صدام المُثقف الحداثي بالسلطة:<<و هو يعيش واقعا مزريًا استطاع أن يقرأ في السلطة عطب الوجود،فوقف منها موقف الإحتجاج و التنديد إزاء ما تعرّض له الأفراد من ظلم و تعسّف>>[3]، فكان المُثقف ذاك الكائن المنبوذ الذي تتقاذفه مُختلف السلط،رافضة إيّاه،و رامية بكل ثقلها للتخلّص منه لأنّه حجر العثرة ـي يقف في وجه تنفيذ مشاريعها و يُعادي مخططاتها و توجيهاتها،بما يعرضه و يقترحه من مشاريع طوباوية تجعله بمثابة القبس الذي يجذبُ الأنظار إليه،و بذلك كان :<<الخصم الحقيقي لأي مثقف،التخلّف بمعناه الواسع و ابعاده الخطيرة...،هذا التخلّف الذي قد يضم مُعسكر واحد كلا من التيارات الإسلامية المُتطرّفة و سلوكات القهر السياسي كيفما كان شكلها أو تنظيمها.>>[4].فأيّ هذه السلط كانت أقسى في قمعها للمثقف؟و أيّها أكثر حظًا في انحياز المُثقف لها؟،إذ نجد أنّ

[1] لقاء مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج،برنامج بلا قيود،قناةBBC.
[2] **واسني الأعرج،ذاكرة الماء،منشورات الفضاء الحرط1،2001،ص07.**
[3] فرقة بحث معهد اللغات الأجنبية،صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية،جامعة الجزائرص150.
[4] نفيسة الأحرش،كتابات إمرأة عايشت الأزمة،ص3-4.

المثقفين الذين لم يصمدوا على مواقفهم،كان لكل منهم قناة تواصل من خلالها مع إحدى هذه السلط و استطاعت جذبه و انطوى تحت جناحها،فمنهم من إنضَّم إلى النظام بعد عدائه له،و منهم من تبّنى فكر المتطرّفين بعدما كان ينتقدهُ بشدّة،و آخرون استسلموا للتقاليد و الأعراف التي ثاروا عليها و حاولوا تغييرها.

المثقف نفسه في مواجهة دائمة لا تهدأ مع النظام الذي كثيرًا ما يقف في الجانب النقيض لتوجهاته و خياراته و من ثمة وُلد هذا الصراع،و عند ظهور ظاهرة الإرهاب التي كان و راءها التطرّف الديني،صار المتطرفون طرف ثالث في معركة المثقف و النظام و كان لزامًا مواجهة الطرفين معًا،خاصّة أنّ المتطرفين أعلنوا عن عدائهم الصريح لكل مثقف،فتحالف المتطرّفون و نظام الحُكم ضد المثقف بشكل غير متفّق عليه،فتسبب في تشرّده و انهياره و ضياعه و أخيرًا فنائه.

و هكذا فالمثقف الجزائري: <<غير متصالح مع السلطة بطبيعته،و في نفس الوقت فهو لا يجد من يحميه من غضب المتطرّفين،و ليس لديه الوسيلة، و لم تُتح له الفرصة أداء دوره الحقيقي في حمل رسالة التنوير الحقيقية تمهيدًا لثورة ثقافية حقيقية>>[1]،و لازالت السُلطة تقفُ في الطرف النقيض للمثقف و تعاكسه في كل مبادئه و تكذبّه في أفكاره و تُعلن جنونه في كثير من المواقف لتكون نهايتهُ سجنًا مريرًا،قتلًا مُفجعًا،أو منفى طويل.

لازال المُثقف في بلادنا صوت بلا صدى،و لازال المُجتمع يُمارس عليه لعبة التهميش و الإحتقار،فيجب علينا أن نستشعر الخطر المُحدق بنَا و في حديثنا هذا لا نذكر الجزائر فقط على سبيل المثال.فالمتأمل في أوضاع الساحة العربية يجدها في حالة تفتّت،فهذه إمارات غنيّة سكتت نُخبتهَا المُثقفة عن قول كلمة حق في وجه حاكم ظالم،و بلدان أخرى تأّمرت عليها بلدان أخرى من أجل نهب خيراتها و هذه حروب طائفية بين مجموعات في كل من العراق،سوريا،و ليبيا <<لقد انتفض الشعب التونسي مطالبًا بالتغيّر دون تأثير سياسي أو حزبي مباشر و رغم القمع و التضليل الإعلامي و مساهمة بعض المُثقفّين في ترديد شعارات "تونس الخضراء"،"تونس العلمانيّة"،"تونس الحداثة"، إلّا

[1] ينظر علال سنقوقة،المتخيّل في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية،منشورات الإختلاف،ط1،2000،ص41،نقلًا عن عصام محفوظ،الرواية العربية،الطليعية و الشاهدة،دار ابن خلدون،بيروت،لبنان،ط1،1982،ص17.

أنّ الشعب في الأخير قال كلمتهُ بكلّ عفوية و حسم الأمر>>[1]، لقد اختار التوانسه التغيّر في ضوء التغيّير في ضوء الحزب الإسلامي بعد سيطرة الأحزاب الليبرالية و العلمانية و انسياقها وراء الديكتاتورية و الإستبداد.

أمّا في الحالة المصرية فالنُخبة المُثقفة كانت فاعلة حيثُ نشطتْ نقابة الصحفين و المُحامين و المُهندسين في عهد نظام مبارك،و كان هناك حِراك خفي تزعمتّه حركات جماهيرية مُستقلّة كحركة "كفاية" التي كان لها الفضل في إطلاق الشرارة الأولى للحركة السياسية الجديدة بمصر،فلولا الصمود الأسطوري للشعب المصري في ساحات التغيير لما نجحت ثورته.و نجد نُخبة أخرى من المُثقفين كانت تدعو إلى الثورة المُضادة،و العمل على طمر ثورة "25يناير" في حفرة عميقة.

أمّا عن التجربة السوريّة،و أمام الجرائم اللإنسانية التي يرتكبها النظام بدمشق،يرى بعض المُثقفين أنّ ما يقوم به النظام هو ممانعة و تصدّي للصهيونية و أحيانًا يُدافعون عن وحدة سوريا،فها هو م يقتُل الأطفال و النساء و الشيوخ لأنّهم العائق الكبير أمام أفكاره و للأسف فالنخبة التي تحدّثنا عنها لا تعكس حقيقة الوضع الراهن،فالتاريخ مليء بالخيانات و التراجعات و المساومات.

أمّا في الحالة الجزائرية فالأمر مُختلف تمامًا فبعد مرور البِلاد "بالعشرية السوداء" فإنّ كل الأسّر الجزائرية ضاقت شبح الإرهاب و ويلاته،فأصبح لِزامًا على كلِ فرد يحسب ألف حساب قبل القيّام بأيّة خطوة،إذ نرى أنّ النُخبة المُثقفة انقسمّت إلى فريقين:فريق يُبارك و يُمجّد العُهدات الرئاسية المتوالية،و فريق آخر يريد التغيّر السلمي و لكن لا يجد آذان صاغية فأصبح هذا المُثقف في حالة انطواء و انغلاق على النفس و لا يجد له متنفسّا سوى على صفحات الجرائد أو من خِلال لقاءات متلفزة أو تجمعّات حزبية أو تغريدات على مواقع التواصل الإجتماعي.

فالسؤال المطروح اليوم : <<هل مازال يضرب حساب من الألف للمثقف؟و هل لازالت مقولاته تجد لها صدى مجتمعيًا بمعنى؛ هل أصبح مثقف اليوم يعي وجوده كفاعل اجتماعي و يدافع عن وجوده أم أنّه أضحي يهيم في اللادور؟>>[2].

[1] انغير بوبكر:بداية المُثقف الإسلامي و نهاية المُثقف التحديثي الديمقراطي،مجلة فضاءات.

[2] سلمى دقاقي:المثقفون جروح مفتوحه أو الحياة في "اللادور"،مجلّة الكلمة،العدد20،أغسطس،2008.

إنّ التسلّط و السلطة و الممارسات القهرية و الظلم و التعسّف باستخدام شتى الوسائل التي يملكها النظام جاء الحديث عنها في عدّة روايات جزائرية مثل رواية "دم الغزال" لمرزاق بقطاش،و الذي أعلن صراحة عن بغضه للسلطة و السياسة،و يصفها باللعنة السياسية ،و <<رواية "خرفان الله" التي حفلت بمشاهد القتل و الإرهاب و التعذيب كما لو أنّ صاحبها "يسمينة خضرة" مراسل حربي لإحدى الوكالات...>>[1]، أمّا " الطاهر و طّار" في روايته "الشمعة و الدهاليز" قد أدخلنا في سراديب كثيرة، و تتعدّد معها التساؤلات المُحيِرة و المُقلقة في آن واحد، و من خلال هذه الرواية يصوّر لنا هامشية المُثقف،و روايته الأولى "اللاز"، حيث صوّر فيها ذلك المُثقف صاحب المبدأ الذي لا يقبل المساومة بل يسلك طريق الشرف و الإخلاص للوطن،و لكن مصيرهٌ يبقى مصير كل من ينوي أن يُعارض نظامًا ما أو يخرج على السائد محاولًا تغييره .و قد ذُكر العنف المُسلّط على المُثقف أو النُخبة في عدّة روايات جزائرية مكتوبة باللغتين العربية و الفرنسية و هذه الروايات صُنّفت ضمن أدب الأزمة أو ما يُسمى أدب التسعينات أو أدب العشرية السوداء في الجزائر.

يقول بعض المُثقفين،أنّه ليس مطلوبًا من المُثقف أن يُدافِع عن الأمة ضد الحاكم الظالم و أنّ مهمتهُ تنحصر في قدرته على تحسّس هموم الناس و مشاكلهم و التعبير عنها بطريقة لا تؤدي به إلى الهلاك المُتمثّل في الإعتقال و التعذيب و القتل و الحرمان من الوظيفة ،يقول صلى الله عليه و سلّم: <<إنّ من أعظم الجِهاد كلمة عدل عند سلطان جائر>>[2]، و ممّا لا شك فيه أنّ هناك نُخبة مُثقفة تقف في مواجهة الباطل و الظُلم في كل الدول العربية رغم تعرضهم للتنكيل و محاولات إفقار لكنّهم مدوا و مازالوا صامدين،و يجبُ على الجميع أن يتكاتفوا من أجل النهوض بهذه الأمّة التي تفتّت أواصرها و تكالبت عليها الدوّل الأجنبيّة.

[1] فاروق جقريف،أدب الأزمة في رواية "**ذاكرة الماء**" لواسيني الأعرج.
[2] **سنن الترمذي،الجزء8**،ص345.

المبحث الخامس:المرأة و المثقف:

إذا كانت المرأة قد عاشت في أغلب الظروف قانعه بعرش الزوجية، و ملكوت الأمومة فقد عرفت الأيّام نساء كنّ الشُهبْ الوضاءة في تاريخ بلادهن و في عصورهنّ،وقفن على قمم العظمة و تربّعن على عروش الممالك و الإمبراطوريات،و تصرّفن بمقدرات البلاد و العباد.فموضوع المرأة يكتسب أهميّة بالغة كونها لها دور فعّال في المجتمع.

لنقرأ عن نساء مثل كليوباترا و نفرتيتي،و بلقيس،زانوبيا و أسيا زوجة فرعون و مريم بنت عمران،و الخنساء،و شجرة الدرّ ،و هلين كلير،و مدام كوري،و ماري تريزا،و فالانتينا،و آمنة بنت وهب،و خديجة بنت خويلد،و عائشة بنت أبي بكر،و فاطمة الزهراء،و غيرهنّ كثيرات لمعن في التاريخ الغابر و المُعاصر،و مازال ذكرهنّ على كل لسان، كرائدات من روّاد المرأة عبر العصور. لقد كانت المرأة مثيرة الجنس و الرحم الخصب و الأم الأزليّة، ففي سالف العصور كانت المرأة هي الحُكم الفاصل في منازعات الأباء و الأبناء من أجل الزعامة و الجنس و كانت هي التي تختار زعيم القبيلة أو الملك زوجًا لها بإعتبارها الأنثى الأزلية و الأم الخالدة[1].

ففي قديم الزمان اشتغل الرجل بالصيد،و بقيّت الأم مع الأبناء و استسلمت لسلطان الرجل مقابل كسب القوت[2]،كما يعود الفضل للمرأة لإكتشاف الزراعة فقد كانت مُهمة إلتقاط الثمار و البحث عن البذور الصالحة من نشاطات المرأة الأساسية و هذا ما قادها إلى إكتشاف القمح كغذاء و إبتكار أساليب إعداده من طحن و عجن و خبز. كما "كانت المرأة تنوب دور الرجل في غياب زوجها لأنّها تقوم بإدارة شؤونه و رعاية أبنائه،فتكسب بذلك سيّادة مؤقتة"[3].

و قد كانت المرأة في الجاهلية لا تخضع لتلك القسوة الثقيلة بل تتمتع ببعض الحرية مما كان لها الحق في المساهمة في النشاط الفكري و العقلي و الأدبي و الشعري،و حتى المساهمة في النشاطات

[1] يُنظر،يسرى الأيوبي،المرأة عبر الزمن،ج1،ص11.
[2] يُنظر،صالح مفقودة،المرأة في الرواية الجزائرية،مطبعة دار الشروق للطباعة و النشر ط2،2009.
[3] المرجع السابق.

الحربية و العسكرية و ذلك بتقديم الماء و الطعام و معالجة الْمصابين و الجرحى[1].

و بمجيء الإسلام قُلبَت المفاهيم الضعيفة حول المرأة،فإنّ العربيّات في عهد النبيّ كُنّ شريكات الرجال في شؤنهم الإجتماعية،كما ساهمت في الدفاع عن الرسول و دعوته،نذكر منهنّ أم عطيّة التي رُوِيَ عنها أنّها قالت : ((و غزوتُ مع رسول الله سبعُ غزوات،و كنتُ أخلفهُم في رحالهم،و أصنع لهم الطعام و أداوي الجرحى و اسهر على المرضى))[2].

أمّا في العصر العبّاسي ساهمت المرأة في <<طلب العِلم،و لم يكُن إقبال النساء محصوراً على العلوم الشرعية فقط،بل تعدَّاه إلى العلوم الأدبية حيث بلغت أشعارهن أيّة في الروعة و الجمال،خاصة ما قيل منه في المدح و الرثاء>>[3].لكن ازدادت المرأة تطوّراً في العصر الحديث،لتنشيء الجمعيات و دي و تُقيم المعارض و تصدر المجلّات و تشارك في إدارة المؤسسات الثقافية و الإجتماعية و التعليمية فوصلت إلى مرحلة عالية من التعليم و الثقافة فدخلت الجامعات و حصلت على أعلى الدرجات حيثُ أصبح منهنّ مُحاميّات و طبيبات و مُهندسات، و في بعض الأقطار العربية مُنحتْ المرأة أعلى المناصب، بالإضافة إلى حق الإنتخاب و المساواة مع الرجل.

و يقال <<بأن المرأة العصرية جاءت بمفهوم جديد للأنوثة يختلف عن المفهوم الذي نادت به من قبلها المرأة التقليدية>>[4].

كما نشطت الحركات النسوية في الأقطار العربية الأخرى،فقد عُقد المؤتمر الأول للنساء في بيروت 1919 للمطالبة و الدعوة إلى المساواة بين الجنسين في الوظائف المهنية و الحقوق فحققت ما تريدهُ من الحصول على مواد لصالحها في دساتير البلدان العربيّة[5]،أمّا عن وضع المرأة في الجزائر فقد <<وصفت الفترة الإستعمارية في الجزائر بالفترة الذهبيّة في تاريخ المرأة الجزائرية،لأنّها أثبتت جدارتها في الكفّاح بمساعدتها للرجال بحمل السلاح أيضًا،و أبرزت الثورة المسلّحة صورة المرأة المحاربة و المناضلة

[1] ينظر ياسمينة كيّال،تطوّر المرأة عبر التاريخ،مؤسسة غردين **للطباعة و النشر**،ص69.
[2] المرجع نفسه،ص76.
[3] المرجع نفسه،ص96.
[4] المرجع نفسه،ص206.
[5] صالح مفقودة،المرأة في الرواية الجزائرية،ص16.

و المشاركة فكان حضورها دليلًا بارزًا على التحوّل الإجتماعي الذي وقع في البلاد>>[1] و فرض مساهمة كل مواطن في محاربة الإستعمار و لفت إنتباه العالم خاصّة أثناء المعارك التي خاضتها جميلة بوحيرد أو وريدة مداد،التي عُذّبَت تعذيبًا شديدًا لا يمكن لأي مخلوق تحمّله، فلا نستطيع أن ننسى تضحيّتهن،و غيرهن من المجاهدات،فقد وقفن مع الوطن في محنته و كان لهنّ دور في تقرير مصير البلاد.و بعد الإستقلال إتجهّت الكثير من نساء الوطن نحو العمل في مُختلف الوظائف الحكومية و الدوائر و المؤسسات العامة و الخاصّة.

[1] المرجع السابق،ص18.

الفصل الثاني

صور المثقف في رواية "شرفات بحر الشمال"

- المبحث الأول : _ محنة المثقف
- المبحث الثاني: – المثقف كفاعل اجتماعي
- المبحث الثالث: _ ملامح اغتراب المثقف
- المبحث الرابع: _ المثقف والسلطة
- المبحث الخامس – المرأة والإبداع في حياة المثقف

المبحث الأول:المثقف و محنة الوطن

تَمُّس المثقف "لوثة حُب الوطن"،و التعلّق بالأرض التي أنجبته،لكن ليس كل وطن يمنح أبناؤه العيش الذي يناشدونه، و نخصّ الحديث عن المثقفين من أبناء هذا الوطن،ربَّما لأن المثقف هو الأكثر دِراية بمعنى "الوطن" و لأننّا نلقي عليه اللوم دائما عندما يتخلَّى عنه و يفرّ هاربًا إلى أرض لا تُشبهه، فخلال التسعينيات من الألفية الثانية غرقت الجزائر في دوامة من العنف و برزت مظاهر الخراب و الدمار على المستويين المادي و النفسي و لم يعد للفرد الجزائري أي مستقبل أو أمل،إلَّا انتظار الموت: <<منذ سبع سنوات،منذ أن حلّ علينا الزمن الضيّق الذي فشلت الأسماء في نعته، لم أر هذه السماء.كلّما رفعت رأسي عاليًا،زادت احتمالات سهوي و بالتالي قتلي.نحن في وطن يتساوى فيه السهو بالموت.كلّما فتحنا الباب لاستقبال صباح آخر مُنِح لنا للحياة>>[1]، و المثقفون كفئة من هذا الشعب،اختلفت ردود أفعالهم حول ما يحدث،حيث نجد الذي أدان هذا الوطن و ألصق به أبشعَ الصفات،و هذا واضح في كلام إحدى اللواتي عرفهنّ "ياسين" – بطل الرواية – و هي تقول له أنّها قبِلت الزواج برجل يكبرها بأكثر من أربعين سنة و لكنّه وفّر لها إمكانية الخروج بعيدا عن هذه الأرض <<هاهو ذا جاء يكبرني بأربعين سنة و لكن أفضل لي بكثير من أن أظلّ هنا...مقيم خارج هذه الأرض،سيخرجني من هذا العفن الذي اسمه الوطن>>[2].هكذا رأت"سعدية" الوطن،فعُفُونَة الواقِع قتلت كل ماهو جميل على هذه الأرض

و نجد من مات من أجل هذه البلاد،أو قتله عشقه لهذه الأرض كما يقول "ياسين" عن مقتل "عزيز" الذي كان يُسميها مدينة الأطياف،و تعلّق بها حد الخبل،و رفض مغادرتها كغيره :<<لقد ك البلاد التي اشتهيت أن تتظلّل يومًا تحت راياتها الخفّاقة كما تعلّمت في المدرسة.قتلك حلم الأطياف التي ستظل أطيافًا حتى يأتي الرجل الغريب و يجعل منها مدينة يشتهيها العشاق الضائعون و الرومانسيون الحالمون>>[3]،وطن يقتل أبناءَهُ،هي أنسب عبارة تطلق على جزائر التسعينيات،ثم أنّ سياسة القتل ركزّت على المثقف أكثر من غيره خلال هذه الفترة،فقد كانوا يهدفون إلى إفراغ البلاد من كوادرها،و هو ما قصده "عمي غلام" في كلامه عن مقتل الشخصيات الوطنية : <<عبّان رمضان،ظُلم مثلما ظُلِمَ مايو الله يرحمه. لم تُتحْ له فرصة الشهادة و لكنّهم شهَّدوه بالقوة.قُتلَ من طرف عصابة الشكارة و الحبل التي كانت تصفّي كلّ من يخالفها.تاريخ الموت لم ينزل على هذا البلد

[1] واسيني الأعرج،شرفات بحر الشمال،دار الأداب،بيروت،الطبعة الأولى،2002،ص18.
[2] المصدر نفسه،ص96.
[3] المصدر نفسه،ص211.

من السماء كمطر الصيف...أن تكون من القطيع أو تندثر.التفكير خطيئة.قتلوه مثل أيّة حشرة،و بعد أيّام مسحوا صراخاته و اختناقاته الأخيرة في أقمصة الاستعمار.كلامه الحاد ضد الذين أكلوا البلاد و العباد سبّب له كل العداءات.كنت أعرف أنّه ما راحش يطوّل.الناس الذين يشبهونه أعمارهم قصيرة>>[1]، و مقتل الرئيس "بوضياف" 1992 أيضًا، لأنه وطني و أراد الحفاظ على ثروات البلاد لأهل البلاد،و لم يؤيدهم فيما يبغون،فدفع حياته ثمنًا لوطنيته التي قتلته.و في هذا يقول الكاتب :<<عمي غلام الله لم يكن مخطئًا في ألمه عن عبّان رمضان،فقد قُتِل باسم الوطنية.حبّ الوطن شيء آخر. ماحة بلا حدود لأنّها بلا ثمن.إمّا أن تكون أو لا تكون.لا تُكتسب مثل الوطنيّة.تكاد تكون غريزة بلا ناظم لها.وهم جميل، نشتهيه و لا نطلب منه شيئًا إلّا سعادة الألم.عندما تتراجع كلّ القيم،ينهض هو فينا كمرض لذيذ تصعب مقاومته>>[2].فحُب الوطن ليسَ الوطنيّة؛الوطن أرضٌ تُشمّ كل صباح و أشواق تتجدد باستمرار،أمّا الوطنيّة فحساباتها دقيقة، يُمكن أن تأكل نفسها بلا تردد إذا اقتضت المصلحة.

و اقترنت محنة الوطن بمحنة الإرهاب،فتخلّى عنه أبناؤه في عز حاجته إليهم،ثم الفرار إلى أوطان أخرى فهذا الوطن لم يجدوا فيه إلّا الإهانة و الموت،و السواد الذي لف الوطن استفز بعض المثقفين،و كان حافزًا لهم للتحرك من أجل إزالته و هذا من يدفع حياته ثمنًا لقول كلمة الحق كما حدث مع أغلب العاملين بالوسط الإعلامي تلك الفترة، يقول "ياسين" عن المذيعة "فايزة" التي دعتهُ للحديث عن منحوتاته،أنّه سأل عنها مرة أخرى عندما استدعي للحديث عن تكريمه بمؤتمر امستردام: <<حتى فايزة الطيّبة كانت قد اندثرت.عندما سألتُ أحد العاملين عنها قال بكلّ برودة:هي اللي حبّتْ. شكون قال لها روحي عند النقابة؟اللي يحوس يفهم هذا واش يستناه.جُلت في الممرّات الطويلة للإذاعة، لم أر إلّا وجوهًا مُنكّسة مثل الرايات المهزومة و جيشًا من الناس يأكلون بعضهم بعضًا>>[3]،فكل من حاول التمرّد أو الثورة أو مجرد النقاش كان مصيره الموت.

من مِحن الوطن أيضا الأوضاع الإجتماعية المزرية لأغلبية الشعب،و التي كانت من بين الخيوط التي نسجت الأزمة التي عرفتها الجزائر،و الفساد الذي كان طاغي على جميع مؤسسات الحكومة،و هذا كان سبب في انهيار المثقف و دخوله في حالة يأس و احباط،و لم يعُد باستطاعته حتى المحاولة في إنتشال هذا الوطن من الخراب ، كما حدث مع شخصية المهندس "عمار" في الرواية،يظهر في كلام

[1] المصدر السابق،ص190.
[2] المصدر نفسه،ص230.
[3] المصدر السابق،ص178.

"ياسين" : <<عندما حكيت قصّة المترو لجاري المهندس،عمّار،كما أتصوّرها، أنّبني كثيراً مستندًا على يقينات كان من المُستحيل التشكيك فيها:أنا أشتغل بعين المكان و أعرف تفاصيل المشروع،يأسك غير مبرّر،الصعوبات ناتجة عن طبيعة التربة و تجوّفاتها.بعد سنوات جاءني،بوجه منكسر،ليؤكّد لي أن البلاد تنتحر و حكاياتي التي رويتها له حول الماء،ستصير حقيقة:تصوّر؟قال وهو يبتلع ريقه بصعوبة،مدينة تعوم على الماء و ناسها يموتون عطشًا؟الماء الآن يُضخُّ نحو البحر ليتلف هناك أملًا في تجفيف التربة.إنهم يقتلون المدينة.>>[1].

لقتل المجاني الذي كانت تعيشه البِلاد، أجبر أغلب مثقفي الوطن على مغادرته،يغادرون إلى أرض أخرى،فإمّا يقتلون أو ينتحرون،فلم يكن هناك حلول أخرى: <<علينا أن نترك مُكرهين هذه الأرض لندرك كم خسرنا و نحن نجانب موعد الذين نحبّهم و نخطىء طريق الذين نشتهيهم.ماذا ربحنا؟عندما أقرأ كومة الأيّام و السنوات التي مضت،ماذا أجد؟...ذهاب عزيز في سنّ مبكرة، لم يتح له القتلة فرصة النوم في حجر أمّه للمرّة الأخيرة،اندثار عمّي غلام الله...انتحار الذين أعرفهم و الذين لا أعرفهم>>[2].

و إن كان الكثير من المثقفين كانت ردود أفعالهم سلبية حول ما يحدث و تجاه محنة الوطن،فإن هناك من صمد –و إن كانوا قلّة– ،مثلما فعل "ياسين" النحَّات،الذي أصرّ على البقاء في أرض الوطن،و ممارسة فنّه المُهدد بالقتل،<<**أنا لم افعل شيئًا سوى أن عشت الإصرار على الخيبة و من حين لآخر أتذكّر كلام ألبير كامي:المهمّ عند الفنّان أن يكون شجاعًا و أن يدافع عن كرامة فنّه.لم أخرج لأنّه كان من المُستحيل علَّي التنفس خارج الحفرة التي كنت أسكنها**>>[3]. و لكن هذا المُثقف قد قرّر مغادرة البلاد بعد انتهاء العشرية الدامية،لأنّه لم يستطع التعايش مع الكذبة الكبيرة و هي أن البِلاد بخير و قد تصَالح أهل القاتل مع أهل القتيل؛<<**عندما عاد الجميع إلى أرضهم أريد أن أغادرها.ربّما لأنّي أكثرهم مرضًا بهذه التربة أو أن الهزيمة المقترحة علّي يصعب تحملّها و بلعها.أنت تُذبح في الليل و في الفجر تسمع في النشرات الأولى للأخبار من ينصحك،يطلب منك ثم يأمرك أن تستقبل قاتلك بكأس الحليب و طبق التمر الصحراويّ**

[1] **المصدر** نفسه،ص15.
[2] المصدر نفسه،ص26.
[3] **المصدر السابق**،ص109.

و أن توقظ من تبقّى من نسائك في البيت ليزغردن عليه؟تصوّر نفسك منتصراً في حرب تكتشف فيها فجأة،بعد عشر سنوات،أنَّك كنت الخاسر الأوحد و أنّ القتلة و الآمرين كانوا طوال الزمن الفائت يتفاوضون على أفضل المخارج لتقاسم الغنائم؟>>[1].

و يُدين واسني الأعرج في روايته ذلك النوع من الجزائريين خاصة المثقفين الذين أغرقوا البلاد و تسامحوا مع القتلة و المُتطرفين،و نجوا دون عقاب، و هُمِّش أولئك الوطنيين؛فيقول بطل روايته:<<**الآن الوضع تغيّر.لقد صار القتلة أنبياء و الناس الذين مثلي زوائد وطنية**>>[2].

يحكي "**واسيني الأعرج**" عن وطن يقتل عشاقه وينتصر لقيم أكثر وضاعة؛فالموت يتربى بشهيّة فيه، فنجد "عزيز" الذي يُصدق كذبة التحرير والوطن؛ يذهب مغدورا برصاصة ، والعم "غلام الله"، الذي فلسف الحياة بعد أن ذهبت ابنته الوحيدة، شُنق على يد المشرعين للموت باسم الله، والذين رأوا أن في كلامه كفرا، لأنهم لم يفهموه،و غيرهم...

و هكذا كان حال المُثَقف في رواية شرفات بحر الشمال مع مِحنة الوطن،التي لم تُخْلَقْ من العدم بل لأسباب عديدة،و كان مصير المُثقف فيها : الإغتيال،الإنتحار أو الإنكفاء على الذات و اعتزال المُجتمَع،إمّا الهجرة إلى المنفى و الموت بعيدًا عن الوطن.

[1] المصدر نفسه،ص27.
[2] المصدر نفسه،ص109.

المبحث الثاني : المثقف كفاعل اجتماعي في الرواية :

إن الدور الحقيقي الذي يقوم به المثقف لا يظهر في الأوضاع الهادئة أو العادية،بل يتجلّى في أحداث العصبية التي يمر بها مجتمعه،و عليه أن يؤكد هويته و يثبت وظيفته الاجتماعية و أن يعمل على تغير نظام مجتمعه إلى الأحسن و التأثير على السلطة بقرارته و أفكاره.

يقدم "واسيني الأعرج"في روايته نماذج متعددة من المثقفين ،و بذلك تعددت أساليب مواجهتهم لمحنة الوطن،"فقد حاول بعض المثقّفين الجزائريين إخراج الوطن من محنته و بذلوا في سبيل ذلك ما كان بإمكانهم تقديمه،و لكن الكثير منهم انجرف و لم يستطع الصمود و مواصلة مشروع الإنقاذ، و تخلّى هؤلاء عن مواقعهم داخل المجتمع و تصدعهم و انهيارهم زاد من حدة الأزمة و اطال في عمرها "[1]،والشخصيات المثقفة التي تجلّت في رواية "شرفات بحر الشمال"فيها من المثقف السلبي العاجز الخائن،الذي يختار الفرار على مواجهة ما يحدث كشخصية "سي لكحل" الذي ترك الوطن مع أول فرصة للهروب ،قرر الزواج من ابنة عمه بفرنسا،<<**لكحل رجل طيّب.هو الرّجل الثاني بعد ميمون الذي لم يغادر البلد إلى المهجر و لكنّه زحف نحو اقرب مدينة ليتعلّم و يعلم الآخرين**>>[2]،فشخصية سي لكحل،هي نموذج للمثقف السلبي الذي لم يستطع أن يحافظ على مبادئه و ايديولوجيته على الرغم من وعيه بما يدور من حوله،و اختار أسهل الحلول .في هذا نجد أيضا صورة المثقف الذي يمارس الصمت عن الفساد باحتراف،شخصية "رشيد" زوج نادية و هي تحكي عنه تقول :<<**كان صحفيًا متميّزًا و شجاعا**>>[3] ،وبالرغم من وعيه بما يحدث،إلا أنه كان يتستَّر على رؤوس الفساد في البلاد،(اللصوص والبقَّارين) ا نعتتهم نادية ،يقول عنهم إنّهم أصحاب الحلّ و الربط في هذه البلاد، رشيد كان يلعب دور المتفرج على هؤلاء،<<**صحيح أنه لم يكن يشبههم ولكنّه كان يسير على هديهم**.>>[4]، فهو لم يقم بوظيفته كمثقف يقف إلى جانب

[1] سعاد حمدون،صور المثقف في روايات بشير مفتي،ص46.

[2] واسيني الأعرج،شرفات بحر الشمال،ص166.

[3] المصدر نفسه،ص293.

[4] المصدر نفسه،ص295.

الحق و ينكر الباطل،<<**كانوا يتقاسمون البلاد و أموال العباد في الفيلاّت المغلقة التي امتلكوها بالقرارات الوطنيّة الكبرى و الدينار الرمزيّ،يعيشون بين المطارات الدوليّة و المواني،التي عندما حرِّرت التجارة الخارجية،كانوا أول من استولى عليها و أصبحوا يستوردون ما تحتاجه السوق الوطنيّة.لقد صاروا سفنًا بكاملها و يحتكرون استيراد السكر و الزيت و الأدوية و مواد البناء و الاسمنت و العقارات و قتلوا كل المصانع الوطنية.كل من سار في خطاهم هو حبيبهم و كل من خالفهم قُتل بكل بساطة.**>>[1]،رشيد لم يكتفِ بممارسة صمته السلبي على هؤلاء بل كان جبانا أمامهم أيضا <<**كلّما مرّت الأيام،كان رشيد يشعر بأنّ النّار كانت تقترب منه و أنّ هؤلاء الناس لا يتراجعون أمام أيّ شيء.القتل بالنسبة لهم مجرّد لحظة و بعدها يعمّ الصفاء و كأنّ شيئًا لم يكن.**>>[2]،ذُعر "رشيد " و قرر مغادرة الوطن ، لكن ما تعلمه من هؤلاء جعله يعود إلى أرض الوطن ،فقد تعلَّم منهم كيف يصبح مستغلا لخيرات البلاد بدوره هو ايضا <<**رشيد ظلّ مشدودًا إلى الأرض التي تركها.لم تكن الجزائر بالنسبة له إلّا تلك البقرة الحلوب.**>>[3].هكذا يخون المثقف وطنه في عِزّ أزمتها،و يتخلَّى عن دوره كمثقف تنويري ينتشل مجتمعه من بؤر الفساد. أما عن النموذج اللامنتمي للمثقف الذي ظهر بعد أحداث أكتوبر1988، حيث "تعرض المثقف زائري في ظل الظروف التي عاشها المجتمع خلال عشرية الأزمة لحالة احباط مستعصية أدخلته في حالة اغتراب مطبق حواشيها اليأس و الفراغ و الاحساس بلا معنى للوجود "[4]،و جسَّد واسيني الأعرج هذا في شخصية " رفيق " فقد كان يعيش اغتراب داخل وطنه و بين أهله،و فقد تواصله مع الكل،يرفض الخوض في المسائل السياسية و لا يرغب حتى إبداء رأيه فيما يحدث حوله،لذلك السجن النفسي لذي يعيشه أبلغ من السجن المادي،فقد كشف الروائي اغترابه و احساسه بهشاشة الوجود في كلام أخته " نادية " و هي تحكي لياسين عنه: <<**و رفيق،أخي الصغير،عزلته تعذّبني.لقد فقد**

[1] المصدر السابق،ص295.

[2] المصدر نفسه،ص296.

[3] المصدر نفسه،ص298.

[4] سعاد حمدون،صور المثقف في روايات بشير مفتي،ص59.

علاقته بالمحيط نهائيًّا.كان دافئا و حسّاسًا كطفل و فجأة تغيّر.كان في سنته الأخيرة حقوق،عندما واجهته دوريّة شرطة وهو عائد إبّان أحداث أكتوبر 1988.كان برفقة صديقته إلهام ،...عندما رموه بالقرب من الدار،كان غائبًا عن وعيه.و عندما استيقظ أوّل شيء فعله، منعني و منع نصيرة،أخته الثانية من الخروج من البيت.لم يعد يثق في أيّ شي، ... تألمّت كثيرًا عندما رأيته يبكي كطفل يتيم لا يملك لغة مشتركة مع الأخرين.منذ ذلك اليوم اندفن داخل الصمت و لم يعد يسأل أبدًا>>[1]."رفيق" تجسَّدت فيه صفات المثقف الضعيف السلبي،الذي انغلق على نفسه و ذاته عندما صُفِعَ من طرف السلطة، لم يقم بدور المثقف الثوري الذي يزيده الإظطهاد صمدًا،أما عن سبب العزلة و الاغتراب و الانكفاء على الذات فيعود إلى عجزه عن القيام بالدور المنوط و المهمة الملقاة على عاتقه،و عدم القدرة على الأوضاع ،كل ذلك جعله يحس بالعجز و عدم القدرة على المواصلة و بأنه لا ينتمي إلى هذا المجتمع.

نجد صورة أخرى لمثقف استغل الدِّين في ممارسة أهوائه و تضليل الفئة الخائبة من الناس،خاصة في الفترة التي كان المجتمع الجزائري يمّر بظروف حرجة،تجسَّدت هاته الشخصية في الرجل "الفقيه"الذي وصفته فتنة بالمعتوه:<<**كنت وقتها غائبة عن الدنيا،أعيش على وقع الفقدان و أتحمّل ضرب العصا من معتوه ،لا أدري ما الذي يجعل جاهلاً في مكانة ليست له**>>[2]،فشخصية الفقيه في الرواية تجلَّت واضحة في صورة رجل يحفظ بعض الأيات و الأحاديث و لا يفقه فيها شيئًا،بل يستغلها في تضليل أهل القرية و من هؤلاء الذين وقعوا بين يديه كانت "فتنة"،بعد أن وجدها أهل القرية تعيش حالة نفسية سيئة بسبب فقدان أخيها ميمون،اعتقدوا أن " الفقيه " سيشفيها مما هي فيه،فراح يوهمهم بأنّ جني يسكنها و شفاؤها مستحيل،الفقيه لم يكن إلّا عينة لثقافة خاطئة،تدّعمها سلطة هدفها ابقاء الناس في ذلك الظلام الدَّامس المسَّمى بالجهل.

[1] واسيني الأعرج،شرفات بحر الشمال،ص281.

[2] المصدر نفسه،ص81.

نجد في الرواية عينة أخرى من الثقافة السلبية التي سادت تلك الفترة،ممن انجرفوا وراء الجماعات الاسلاموية،ظنًا منهم أن زعماء هذه الحركات هم الذين سيحملون مشعل التغيِّر والإصلاح،و هذا ما نراه في شخصيَّة زوج نادين :<< **تزّوجت في زحمة الخيبات المتتالية و أكلتها تفاصيل المدينة مع مهندس نفطيّ لا شغل له إلاّ الحرب الخاسرة مع الحياة.يصرّ يوميًّا على اسماعها أشرطة فقهاء بيشاور و جامع برّاقي و أئمّة باش جراح الذين يعتبرهم قدوة الزمن القادم و الفتوحات الإسلاميّة في أرض الإسلام.وفي أخر الليل،عندما تتعب،تمدّ عبثا يدها إلى جسده الميت،فيبعدها بعنف و يعطيها بظهره وهو يتمتم:على المؤمن أن يقاوم الغواية حتّى عندما تأتيه من زوجته... منذ الساعات الأولى لزواجهما ردمها في حجاب أسود يشبه الباش في ثقله ثم غيَّر اسمها،قال لها لا أريد سماع الكفر و الإلحاد.من أين جئتِ بهذه الخيبة و هذا الفساد المعلن؟...أنت من اليوم عائشة،أمّ المؤمنين**>>[1]،هذه الشخصية تُمثل نموذج المثقف الخائب الذي يمشي وراء أفكار مضللة،هدفها تعيتم الأدمغة.

الجزائر بعد أحداث أكتوبر 1988 كانت بأمَّس الحاجة إلى دور مثقفيها الذي غاب،و ذلك كي يخرجوها من براثن الظلم و الفساد و الاستبداد الذي ساد البلاد،إبان العشرية السوداء.

[1] المصدر السابق،ص98.

المبحث الثالث :ملامح اغتراب المثقف في الرواية

يغترب المثقف داخل وطنه و بين أهله،عندما يهَّمش و لا يلتفت إليه،أو يمضي كل عمره منسيًا في بلده ولا يذكر له من أعماله شيئًا،و ما عاناه المثقف الجزائري من اغتراب فترة الأزمة ظهر في أغلب الروايات التي كتبت هذه الفترة،و التهميش من قِبل السُلطة فترة العشرية السوداء،و ربّما يُحِّس المثقف(الفنان)التهمِّيش أكثر من أي مثقف آخر،وهذا بالظبط ما جسَّده واسيني الأعرج في روايته،يظهر ذلك في حوار بطل الرواية "ياسين" مع المضيفة التي إلتقاها وهو يغادر البلاد،و أخبرته بأنها بالصدفة شاهدته في القناة الوطنية،<<**لكنّي أحس أنّ على فنّاننا أن يموت أوّلا أو يُنفى أو ينتحر لتقام له بعد ذلك المأدب و الولائم و يتذكّر الناس أنه موجود.أغلب فنانّينا لم أرَ وجوهم في التليفزيون إلّا عندما ماتوا أو قتلوا،أو انتحروا. أتساءل أحيانا إذا لم يكن المسؤولون في هذه البلاد سعداء لذهابهم و لهذا يكرّمونهم للمرّة الأخيرة للتخلّص من عقدة دفينة و ربما لنسيانهم دفعة واحدة** .>>[1]،وهذا ما أكدّته "فتنة"وهي تحكي عن اخيها "ميمون" الذي كان <<**أستاذا بكنسرفتوار بلديّة وهران.هو أستاذها الأوّل في الحياة.فهو الذي علّمها العزف** >>[2]،تقول لياسين بعد أن فقدت ميمون :<< **تصوّر،عندما كان حيّا،لم يفعلوا الشيء الكثير من أجله...عندما مات،جاء الوالي و كل المسؤولين و الوزير و كاميرات التليفزيون الوطنّي لتعزّي في الرجل الذي أسعد النّاس مدّة طويلة في آخر الليل.وعندما سُحب نحو قبره و لم يعد يشرب معنا قهوة الصباح،تقول أمّي،لم نر أحدًا**>>[3]، كأنّهم ينتظرون ذهاب مثقفي هاته البلاد إلى العالم الآخر لتقام لهم الاحتفالات ،يقول بطل الرواية "ياسين" وهو الفنّان النحَّات الذي استدعيَ ليتم تكريمه في امستردام: <<**أنا قادم من أرض صرنا نحتفل فيها بذكرى الموت و ليس الحياة...،كل واحد فينا عليه أن ينتظر موته ليُحتفى به**>>[4]،و نجد تأكيد أخر على هذا في كلام "عزيز" لياسين : <<**قال لي عزيز ذات مرّة،أنت تستدرج الموت مثل الشعراء**

[1] المصدر السابق،ص24-25.
[2] المصدر نفسه،ص27.
[3] المصدر نفسه،ص81.
[4] المصدر نفسه،ص65.

الغابرين،لا رومانسية في الموت يا حبيبي. صحيح،عندما تُقْتَلُ سيبكيك الكثيرون،حتى الذين يكرهونك سيلعبون نفس الدور.سيبعث وزير الثقافة و الاتّصال و رئيس الحكومة و ربما حتى رئيس الجمهورية التعازي المختلفة لأمّك ثم فجأة عندما يصمت الكورس الجنائزيّ سيتضاءل اسمك شيئًا فشيئًا و يُغلق كتابك للمرّة الأخيرة.هذه الأرض بدون ذاكرة يا حبيبي.>>[1].

. وصف واسيني الجزائر في روايته هذه،بتلك البلاد التي تهمِّش مثقفيها،و لا ترسِّخهم في ذاكرتها،و يرد هذا واضحا في الرواية عندما سأل " ياسين " عمَّال الإذاعة عن " نرجس " المذيعة التي عملت ذاعة لسنوات طويلة،هو كان مولعًا بصوتها و بتقديمها،<<**عندما سألتني المذيعة في نهاية الحصّة عما أشتهي سماعه قلت بدون تردّد : جنريك حصّة آخر الليل التي كانت تقدّمها نرجس.بحثوا عنه و بعد لحظات عاد المكلّف بالأرشيف ليقول لنا إنّه تمّ محو كل شيء و أنّ الأشرطة تم التسجيل عليها... سألت فايزة التي دعتني و عمّال الإذاعة.لم يكن أحد يعرفها.هذه البلاد بدون ذاكرة و تأكل بدون تردّد أجمل ما تُنشئه>>**[2].

الإهمال المُتعمَّد من قبل السلطة لمثقفي البلاد،كانت نتيجته سلبية لأبعد الحدود،فالمثقف كان بين العيش في عزلة نفسية،أو الاستسلام للموت بمعانيه المختلفة،أو ترك البلاد والاتجاه نحو وطن أخر،و كان هذا حال الكثير من فنّاني الجزائر تلك الفترة،و نجد هذا في القصص التي سمعها "ياسين" عن الذين لقوا حتفهم في المنفى: <<**هذا كذلك قبر فنّان جزائري.يبدو أنّه مقطوع من شجرة...،غادر العاصمة في نهايات 1994 وبقي أربع سنوات في الشطط الباريسية بوثائق اقامة مؤقتة.كل ثلاثة أشهر كان عليه أن يتقدم للشرطة لتجديد الإقامة بصعوبات و اهانات كبيرة.هرب من الذل و جاء إلى هذا المكان،لكنّه وجد حالًا أسوء من الأول.>>**[3]،فالهجرة او المنفى هو الحل،القناعة التي يصل إليها المثقف المغترب أو الذي همَّشته بلاده و ركنته على الرَّف،يرى بأنه ربّما هناك أرضًا أخرى ستوليه الإهتمام الذي يستحق ،وهذا ما صرَّح به "ياسين" بطل الرواية، بعد معاناته في وطن لم يرث منه إلا الخيّبات المتتالية :<<**المنفى انتحار نوعي.ليكن.انتحار**

[1] المصدر السابق،ص19.
[2] المصدر نفسه،ص177.
[3] المصدر نفسه،ص247.

بالتسقيط ،ندمنه كالمخدرّات قبل أن تصبح المتعة مرضًا،و ذات صباح نفتح أعيننا على الدنيا و قد صار كل شيء أملس و بدون نتوءات و نتقدم نحو الهوّة بدون القدرة على الإلتفات إلى الوراء.ليكن.لاشيء أجلب للخوف مثل شعورك بالإهمال و أنك قد نسيت كأيّة آنية أنيقة كانت تزوّق الدار و عندما انكسرت لملمت ثم وضعت في الركن حتى اندثرت نهائيًا.موت المنفى أهون من النسيان القاتل في أرضك.>>[1]، و نجد ذلك في كلام "فُتنة" لهُ أيضًا : <<**تعرف يا ياسين،نحن لا نترك وطنًا إلّا لنتزوّج قبرًا في المنفى**>>[2]

اذن،مثقف رواية "**واسيني**" ش الاغتراب داخل وطنه،و عانى من تهمِّيش سلطة النظام و سلطة المجتمع،ثم كان مصيره الهجرة أو الانتهاء في المنفى،على ارض وطن غريب.

[1] المصدر السابق،ص71.
[2] المصدر نفسه،ص55.

المبحث الرابع :المثقف و السلطة :

في علاقة المثقف بالسلطة ستجد نفسك أمام أشكال متعددة بين مثقف ثائر يواجه السلطات بكل ايجابية و هذا عادة ما يدفع الضريبة،إمَّا بالتهميش أو بالزّج به في السجن،و بين مثقف سلبي منبطح انبطاح سياسي تام للسلطة،و لا نقصد بالسلطة النظام القائم،فهناك سلط أخرى لها أثر بالغ في مسارات المثقف و خياراته و قناعاته و أوضاعه المعاشية و الفكرية المختلفة،و إن كانت اغلب الأحاديث التي تناولت المثقف و السلطة تقصد بالسلطة النظام القائم :" في حين أننا نتجاهل بصورة او بأخرى سلطات مختلفة قمعت المثقف أو دجنته أو وقفت عائقا أمام مشروعه "[1]،و تفاوتت هذه ط في شدة هيمتنها و سطوتها على المثقف بصفته كائنا مختلف يواجه مثلث السلطات الذي كون من المجتمع و الدين و الدولة معا،و السلطة في العالم العربي و بكل تجلياتها(المجتمع–الدين–النظام السياسي) تتعامل مع حرية الفكر و المثقفين بمنطق دع الكلاب تعوي و القافلة تسير ،العنف و القمع،التهمّيش المتعمد الذي عاناه المثقف في جزائر ما بعد الاستقلال ،يحاول الروائي واسيني الأعرج و صفه في شرفات بحر الشمال .

السلطة التي ضيَّقت الخناق على المثقف الجزائري فترة العشرية السوداء،لم تكن سلطة النظام لحاكم فحسب،و لا سلطة المجتمع الذي يعتبر سلطة هو ايضا،بل سلطة " الارهاب " أو ما نعتهم ياسين بطل الرواية بالقتلة،كانوا يقتلون كل ما يمت للثقافة و المثقفين بصلة،و حاولوا قمع الفئة المثقفة بكل الطرق و الوسائل،لدرجة أن يصاب المثقف بالذعر و الهلع عندما يمارس هواياته الخاصة، " **و كلّما انتهيت من تمثال أدخلت نفسي في حيرة جديدة،أين أجد له مكانا؟أو أي مخبأ حتى لا تمر عليه ألة الموت التي كانت تأكل الأخضر و اليابس.كل شي ضيِّق و عليك أن تعيش باستمرار داخل الحلم لتتمكن من السفر خارج حدود المرّبع الذي فرض عليك**"[2].

ياسين و هو يغادر بيته،يغادر الأرض و الوطن لم يتذكر الشيء الكثير من ذلك التاريخ، لم يعلق لا أكثر الحوادث ألما بالنسبة له ، لم تستطع ذاكرة ياسين نسيان حوادث القتل المجاني منذ سبع سنوات كما يقول،أي بعد احدث اكتوبر 1988،فتلك هي الفترة الدامية التي عايشها،توصل

[1] أيمن عبد الرسول،في نقد المثقف و السلطة و الإرهاب،رؤية للنشر و التوزيع،القاهرة،ط1،2004،ص138.

[2] واسيني الأعرج،شرفات بحر الشمال،ص72.

ياسين لقناعة ترك هذه البلاد بعد أن فارقه أقرب الناس إليه على هذه الأرض،غادروه بعد أن اضطهدوا و هُوجموا من طرف السلطة،و أي سلطة،السلطة التي تقتل كل من يحمل ايديولوجية تعارضها أو لا تأتي على هواها،و هذا ما يتذكره ياسين عن شخصية "عمي غلام الله "<<**لم اتذكَر الشيء الكثير من تاريخي المتواضع سوى وجه عمي غلام الله وهو ينشد قرآنه الذي قتله،عند مدخل سوق كلوزيل قبل أن يُعثر عليه مصلوباً في الزاوية المظلمة التي هجرها بائع الصحف منذ سبع سنوات**>>[1].مصير عمي غلام كان مصير كل من يحمل في رأسه فلسفة مخالفة للسلطة،فإما أن تمشي وراء ما يدعون إليه،أو ستوّدع الحياة.

عادة ما تقابل السلطة المثقف الذي يُفتِّش في دفاترها و يحاسبها على أغلاطها بالقتل،أو تطبِّق عليه سياسة العنف بطرق مختلفة،فالمثقف الحقيقي بدوره وظيفته الإجتماعية تحتِّم عليه كشف الحق ومحاولة اخراج مجتمعه من ظلمات الفساد. الاصطدام الذي وقع فيه المثقف الجزائري مع السلطة كان نتيجة الظ مرت بها البلاد ما بعد الاستقلال،و جاءت أحداث أكتوبر1988،القطرة التي أفاضت الكأس و خيِّبت آمال ذلك المثقف الذي كان ينتظر جزائر آمنة تنعم بالاستقرار،نجد هذا في كلام نادية و هي تحكي عن والدها <<**عندما كان والدي في عزّ اليوطوبيا كان لا يتوقف إلّا إذا سكر بأحلامه.ثم فوجيء بالبلاد تحترق،و بالذين حرّروا البلاد يتقاسمون دمها و حليبها المرّ،انكمش على نفسه ولم يعد يتحدّث إلى أحد و نسي الحلم نهائيًا قبل أن تأخده الخديعة القلبيّة**>>[2]،والد نادية مثَّل صورة المثقف الثوري الذي شارك في الثورة وخرج منها محمّلًا ال و الآفاق،تقول نادية لقد انسحب والدي بهدوء حتى لا يوقظ أحدًا <<**اغتيال الرئيس بوضياف على مرأى الجميع آذاه كثيرًا و زاد من حزنه.فقد كان صديقه أيام الثورة.منذ ذلك اليوم لم يعد للجزائر أسرارها.فقد تعرّت للمرّة الأخيرة و تحتاج إلى زمن طويل لتتدارك فقدانها**.>>[3] حياة المثقف تلك الفترة كان الخطر يحدّق بها بسبب قوله الحق في وجه

[1] المصدر السابق،ص07.

[2] المصدر نفسه،ص283.

[3] المصدر السابق،ص282.

السلطة،تجلّى هذا واضحا في خوف والد نادية عندما أرادات العودة إلى أرض الوطن، <<**لا.لا. يانادية.خلّيك في مكانك زلزلة وتفوت.لسانك طويل وقلبك حارّ و لو جئتِ إلى هنا ستقتلين في اليوم الثاني.إذا تحبّيني،ماتجيش الله يحفظك.البلاد تغيّرت كثيرا**.>>[1] ،والد نادية كان يعي جيدا ما الذي ينتظر ابنته من طرف سلطة النظام لو عادت،نجد هذا أيضا في شخصية "غلام الله" قمعوه فقط،لأنّه فقط طالب السلطات بحقّ ابنته التي قُتلت في أحداث1988،قال :<<**طلبي الوحيد أن أعرف وجه قاتل ابنتي و أطالبه أن يعيد لي نواره.سيق بعدها مباشرة إلى بهو المجانين بمستشفى مايو..مجموعة من البنايات الصمّاء و الحيطان الهرمة،...تشبه المقابر الوطنيّة في كلّ تفاصيل الإهمال**.>>[2] ،لقد تعددت أساليب السلطة و الهدف واحد هو قتل المثقف الذي يقف ضد ما يحدث من قمع و اظطهاد <<**الصحفي الذي كتب أنّ كل ما يحدث في المستشفى هو قتل عمديّ و أن وراء ذلك كلّه شبكة لتهريب الأعضاء، أُخِذ وهو في الطريق إلى عمله و لا أحد يعرف مصيره.البعض يقول إنّه غادر البلاد تحت التهديدات المتكرّرة و آخرون،على دراية أكبر بأسرار المدينة يقولون إنّه بيد ذات العصابة التي تتاجر بالأعضاء**.>>[3]

سلطة النظام الجزائري خلال السنوات السوداء التي مرّت بها،طبّقت على مثقفي البلاد سياسة الترهيب،لدرجة أن المثقف أصبح يصاب بالذعر بمجرد سماع لفظة (حاكم)،أو يهان و يُسَّب من طرفهم بدون اسباب <<**يمكنك بكل بساطة أن تمرّ في طريق في الصباح وفي المساء تُبهدل بمخالفة لأنّ المرور ممنوع وكان عليك أن ترفع راسك قليلًا لتقرأ التحوّلات.يشتمك الشرطي وهو يعطيك درسًا في المدنيّة:يا أخي واش بك؟أنت مثقف و ترتكب هذه الأخطاء...شوف شوية قدامك.قوانين الجمهورية يجب أن تُحترم**.>>[4] ،فالشرطي ما هو إلا جزء من سلطة خرين عليه أن يشهر سلطته،مهما كانت صغيرة ليشعر الآخرين بهيبته.

[1] المصدر نفسه،ص282.
[2] المصدر نفسه،ص186.
[3] المصدر نفسه،186.
[4] المصدر السابق،ص280.

"ياسين" وهو الذي عايش أكثر فترات بلاده حرجا، يقول البلاد لم تعد تصلح لأمثالنا،هكذا يراها، فقد أصيب بخيبة أمل جعلته يقرر مغادرة البلاد أخيراً،"ياسين" كان يتوقع جزائر أخرى غير التي خرجت من الأزمة،لكن تفاجأ كغيره بأن البلاد قُسمَّت على رؤوس السلطة لا على الشعب الذي طالما عانى، نجد ذلك واضحًا في حوار " ياسين " مع صاحب البيت "الحاج الطاهر المسيلي " >> **– مسافر غدًا إذن.**

– و بلا رجعة.هذه البلاد ليست لنا يا عمي الطاهر.أدركت هذه الحقيقة متأخرًا و لكني أدركتها على الأقل.

– ستخسرك البلاد.

– لا أعتقد.تعرف يا عمي الطاهر،هذه البلاد لن تتأثر لغيابنا.ربما قد تسعد أكثر.فهي اليوم لمن صنعوا فراشها منذ الاستقلال و يرشونها كل ليلة لمزيد من العهر و القتل و السقوط<<[1].

قمع السلطة للمثقفين لم يقتصر على الفترة السوداء التي عاشتها الجزائر فالخيبة التي أصابت المثقف،المفكر أو الفنان بعد انتهاء الأزمة،كانت ثقيلة،كانوا ينتظرون بلادًا بيضاء،مزدهرة،بعد الفترة الدامية و العصيبة التي مرّوا بها،و لكن السلطة لم تترُك المثقف،بل جعلته يشعر بأن الوطن لم يعد يصلح له.

[1] المصدر نفسه،ص11.

المبحث الخامس:المرأة و الإبداع في حياة المُثقف :

المرأة كائن له دور فاعل في حياة بعض المُثقّفين،و يُقال "وراء كل رجل عظيم امرأة"،فالمرأة بدورها لها تأثير على حياة الرجل بصفة عامّة ثم المُثقف بصفة خاصة،و قد تكون سببًا في ابداعه و هذا ما يحضر في رواية واسيني الأعرج،حيث يُحاول إبراز قيمة المرأة؛(الأم،الأخت،الصديقة،و الحبيبة و المعشوقة)،و أولى علاقات المثقف بالمرأة هي علاقته بالمرأة الأم،الحُب الذي لا ريب فيه و الحنان الدافق،حيثٌ نجد ذلك التعلّق الكبير بالأم عكس ما نجده بالنسبة للأب، و هذا ما يظهر في علاقة "ياسين" بأمّه،المرأة العظيمة أو الفنّانة الفطرية،التي تفقد زوجها و أبناءها في صمت، و تستمرُ في العمل و صناعة الفخار،تعلّم منها كيف يصبر على قسوة الحياة و يستمر في العطاء لأخر نفس.

بطل رواية شرفات بحر الشمال إلتصق بنساء ثلاث؛أخته "زليخه" أو ليخا كما كان يُسمّيها،التي تعلّم على يديها نحت الطين و جعلت منه نحّاتًا،:<< **بطريقتها كانت ليخا سيّدتي العالية و معلّمتي الأولى.دقّة خزراتها و يداها كانوا ممتلئين بالصفاء و الرشاقة ما يكفي لإحراج كبار الفنّانين**>>[1]. ياسين لم يكُن ليُصبِح نحّاتًا لولا مساعدتِه لعمل والدته و زليخة أخته في صنع الفخار و نحتِ الطين، و إصرار "زليخة" عليه أن يُعينها في ذلك و هو صبّي،كان سببًا في بداية تشكّل الإبداع عنده؛ <<**بدأت لذّة ما تدخلني.كلّما صنعت عروسى،كما كانت تسمّي زليخة الدُمى الطينيّة،شعرت أنّ بها شيئًا منّي.**>>[2]،هنا بدأت علاقته بعملية الإبداع،حيث أَحسَّ أن الذي يَنحته مهما كان صغيراً،فيه شيء منه أو يُشبهه.

يقول ياسين : <<**أختي علّمتني الصبر و حبّ التفاصيل الصغيرة**>>[3]، زليخة أو ليخا،لم تَكُن في حياة "ياسين" الأُخت التي تحْنو عليه و تعينُه على مشَّاق الحياة فحسب،بل كانت تلك الفتاة الرفيعة التي تترك المدرسة لتساعد أمها، ثم تموت لأن الرجل الذي اختارته؛ ظنا منها أنه يمتلك الكرامة والإنسانية التي يفتقدها الآخرون،يخونها في ذاته، يخون الفكرة والحلم الذي كورتهما بروحها

[1] واسيني الأعرج**شرفات بحر الشمال**،ص147.
[2] المصدرنفسه،ص164.
[3] المصدر نفسه، ص175.

كما تصنع مع التماثيل وأدوات الفخار، ويتركها لأول فرصة مواتية للهروب نحو السفر والراحة. تعلّم منها ياسين أبجديات الحياة و الحُبْ تمَامًا كما علّمتهُ النحتْ؛ يقول "ياسين" أنّه حفِظ جملتها عن ظهر قلب قبل موتها :<<**شوف يا حبيبي ياسين.أنت مازلت صغيرًا.الدنيا بنت كلب،صعبة بزاف،اليوم معك و تشوف فيك و غدًا تعطيك بقفاها.خلِّ دايمًا شويّة ليك حتى تقدر توقف على رجليك**>>[1]،و أول عمل منحوت قام به ،كان على قبر "زليخه" أخته؛<<**كان أوّل فعل نُحت على صخرة ميتة أشعرني بقدراتي الباطنية**>>[2].يقول "ياسين" أن المدرسة الوطنية للفنون الجميلة لم تُضِفْ له الشيء الكثير،فقد هذّبت ما كان يملكه فقط، و أنّ أخته هي التي علّمته كيف يصير مُبدعًا؛<< **أفهم الآن لماذا صرت نحّاتًا متميّزًا.امرأة طيّبة مثل زليخة أو ليخا لا يمكنها إلّا أن تنجب نحّاتًا من كفّيها و قلبها.اليوم كلّما ذهبت إلى القرية لجلب التربة التي أشتغل عليها،تذكّرت بقوّة أصابع ليخا.فقد علّمتني بحاسة الشمّ و اللّمس كيف أعرف التربة الجيّدة من الضعيفة**>>[3].هكذا أثّرت المرأة الأخت في حياة المُثقف المُبدِعْ في رواية واسيني الأعرج.

أمّا المرأة الحبيبة،المعشوقة في حياة "ياسين" فكانت "فُتنة"<<**فتنة كانت تكبُرني بعشر سنوات و هي التي علّمتني كلّ الأشياء الجميلة التي أتبَاهى اليوم بها**>>[4]،من علّمتهُ عِشق النَغمْ، المرأة التي خرجت على القانون السائد في العُرف الاجتماعي، وكانت تُداوي جراحها بالعزف على آلة الكمان، المرأة التي علَّمتهُ المعنى الحقيقي للعِشق، والذي أصبح في دروبهِ كلها يسيرُ منها وإليها، "المهبولة"، كما أطلق عليها أهل القرية، لعدم قُدْرَتهم على فكّ شيفرات عُمقها، و وعيها و غُربتها.<<**المهبولة علّمتني أن لا أسأل كثيرًا عندما يتعلّق الأمر بالسخاء**>>[5].

"فتنة" امرأة من طراز خاص، عازفة كمان قُتِل اخوها في حادث سير، وكان لها المثل الأعلى والسند والمؤازر، فقد درس الموسيقى وأصبح قائد الفرقة السمفونية الجزائرية، وكان يدربها كي تصبح عازفة كمان مشهورة. جُنّت بعد موته أو أصابها مسّ،و ظلّت تُمارس طقوسها الجنائزية كل ليلة بعزف

[1] المصدر السابق،ص170.
[2] المصدر نفسه،ص173.
[3] المصدر نفسه،ص175.
[4] المصدر نفسه،ص244.
[5] المصدر نفسه،ص175.

سيمفونياتها الحزينة. "فُتنة" سيّدة الموسيقى و العِشْق التي تُقدم للناس جماليات الموسيقى، وتعزف ألحانها المجنونة، أَفتُتِن بها "ياسين"،هي من علّمته كيف تُعشَق الموسيقى،و أنّ لها سحْر؛ <<**فُتنة المهبولة هي التي علّمتني الأسماء كلّها. أسماء كلّ ما حُرّم على الإنسان و النباتات الشهيّة.كانت تعرف كيف تلمس بأناملها الرقيقة،كأسها وشفاه من تعشق و أوتار الكمنجة المشدودة مثلما تشتهي**>>[1]،تعلّم سحر الأصابع،حتى بدأ يعرف أنّ لها لغة،و شغفهِ بفُتنة جعلهُ يتقنُ اللغة،و اكتشف أنّ أمّه و زليخه يُتقنّان نفس اللغة،في صُنعِ الفخار و النحتِ على الطين،فهي لغة الإبداع إذن

نجد تأثير المرأة الحبيبة على المُثقف في الرواية (الفنّان ياسين) واضحًا؛ <<**كان حُبّ فتنة قد سحبني نحو العزلة...لكن أجمل لحظة عوّدتني عليها هي عندما تضعني داخل صدرها الدافيء. ت عندما تبدأ درس الموسيقى،تتمتم في أذني القريبة جدًّا من شفتيها:خويا كان يعلّمني هكذا.تأتي بالكمان و تسحبني نحوها ثم تقف ورائي و تضع الآلة القديمة على كتفي و تشّد على كفّي و أصابعي بقوّة ممدّدة ساعدها الأبيض كشمعة عبر يدي حتى نهاية الكمان ثم تنقر على الأوتار المشدودة بإحكام قبل أن تترك الذراع الرقيق الذي في يدها اليُمنى ينزلق على الخيوط...إلى اليوم أُحَّس بوشوشاتها الطفولية و أنفاسها الحارّة على خذّي الأيمن.كنت كلّما حاولت الالتفات لسؤالها،تلامس شفتاي شفتيها أو تكادان**>>[2] ، فُتنة كانت المرأة التي علّمتُه المعنى الحقيقي للعشْق.عشْق النَغْم و الموسيقى،عشق الحياة،عشق التفاصيل.

المرأة الثالثة التي سكنَتْ خيال كاتب الرواية (الفنّان ياسين)، كانت "نرجس" تلك التي تفتَّحتْ ذاكرته على مفاتن صوتها،و لُغتِها من خِلاَلْ مُتابعته لها عبر أثير الإذاعة؛ الصوت الذي عشقه طفلًا و علّمه كيف يكتب و كيف تصير اللغة و طنًا و عشقًا.<<**لم أنس الصوت الذي قادني نحو دروب اللغة و علّمني كيف أكتب و كيف أحبّ و كيف أتألّم بالصمت و كيف**

[1] المصدر السابق،ص27.
[2] المصدر نفسه،ص29.

أحلم بامرأة>>[1]، تعلّق "ياسين" بصوت المذيعة "نرجس" و ظلّ يكتب للمرأة المجهولة رسائل لا تصلها، هذا الصوت وجدهُ مادّة إنشائية،<<**سمعت صوت المذيعة نرجس التي كانت تعدّ برنامج:أخرالليل.ياه؟شيء ما غامض شدّني على هسهسة الصوت الذي كان منغمسًا في الشعر**>>[2]، هُ كلّ ما سمعه منها و تأكّد أنها فرصته لموضوع الإنشاء،الذي كان يُسبِّب له عقدة،كانت معلّمته تقول له :عليك أن تجِد حلًا لهذه المُعضلة،أنت جيد في كل شيء إلّا هذه المادة.

من شدة حُبهِ و شغفه بصوت نرجس أُصيب ياسين بحب الكلام <<**نرجس عرفت منها أنّ للغة سحرُ يمكن أن يؤدي بنا للهلاك أو إلى الجنة التي نصنعها من الأبجديّات** >>[3]،كان يسرق كل ما تقوله نرجس لأوصله إلى معلّمتي في حصة الإنشاء قبل أن أصاب بالمرض نفسه الذي كانت مصابة به؛مرض حُب الكلام و رصف الأشواق بين الأحرف.

ياسين كان يقول :لو تخلّى عنيّ مخّي كُ ظلّ مختفظًا بهذا الصوت الذي لا يموت.<<**واصلت ضياعي و التصاقي بالصوت الذي أصبحت أتخيّله حتى و أنا أساعد ليخة على صناعة الأواني الفخاريّة.كلّما رسمت وجهًا لدمية تخيّلت نرجس عبثًا.فقد كان وجهها مستحيلُ و صعب، تخيّلي رجلًا يرسم وجهًا لم يرهُ في حياته.**>>[4]،الصوت الذي عشقهُ حدَّ الخبلْ،أجبره على تخيّل وجه له،و ظلّ مسحورًا بذلك الصوت الذي يُدين له بالكثير .

إذن إبداع "ياسين" في فنّه كنّحات لم يأتِ من فراغ،فتأثره بنسائه الثلاث كان واضحًا و مُتجليًّا في منحوتاته،و صرَّح بهذا في جوابه عندما سُئِل من أحدهم في معرض امستردام الذي استدعي له، حين اختاروه ليُكرَّم عن تماثيله :<< **– هل تعرف لماذا اختاروا لك هذا التمثال؟ – بالظبط لا أدري.ربّما لأنه يُشبهني.فالتماثيل أحيانًا تشبه أصحابها.ليس هو بالضرورة الأجود من بين أعمالي لكن المؤكّد،فيه من روح امرأة لم أرها أبدًا في حياتي،كانت تقتحم عليَّ هدوئي**

[1] المصدر نفسه،ص269.
[2] **المصدر السابق**،ص157.
[3] المصدر نفسه،ص175.
[4] المصدر نفسه،ص162.

في آخر الليل من خلال مذياع صغير كان كافيًا لأن يجعلني اشتعل في كلّ مساء و مرتبطًا بها و مدينًا لها بالكثير ممّا حصل لي فيما بعدمن أشياء جميلة.و فيه من روح امرأة أحبتنّي ليلة واحدة بشكل جنوني. و فيه من أختي التي علّمتني كيف أكتشف سحر الأصابع و قدراتها على صناعة الدهشة،كان يكفيها أن تضع الطين الآجوري بين يديها ليصير كلّ ما تلمسه ذا معنى. >>[1] ،لم يكنْ إبداع ياسين في فنِّ النحت نابِع من رغبة ذاتية،إنّما كان بحثًا عن المرأة التي أحبتّه لليلة واحدة"فتنة" ،و محاولة منه لإيجاد وجه للصوت الذي عشقهُ طفلًا "نرجس"، و منحتهُ شهوة لا تعوّض للكتابة و وهمًا جميلًا اسمه الحبّ.و "زليخة" المرأة الاستثنائية،مثل أمّه التي علّمتهُ الصبر و كيف يُبْدعُ من لاشيء.

[1] المصدر السابق،ص117.

خاتمـــــــــــة

خاتمة:

بعد دراستنا لصورة المثقف في رواية **شرفات بحر الشمال**،وجدنا أنّنا أمام كاتب متميِّز في عالم الرواية،فلا نكاد ندرك إنتقالات السرد بين شخصية و أخرى،فالكل يتكلم من بطنه مشاعر فائضة بالحنين إلى الوطن المسلوب من أهله لا من الغريب،الإحساس بالقمع،الإغتراب بين الأهل ، و من خلال هذا يمكن الوقوف عند أهم النتائج المستخرجة من بحثتنا هذا حول صورة المثقف في رواية **واسيني الأعرج** :

– ركزّت شرفات بحر الشمال على محنة المثقف خاصّة المثقف الذي يمثِّل خطرًا على السلطة بسبب أرائه المغايرة.

– تناول واسيني الأعرج في روايته هذه دور المثقف في أزمة الوطن.

– ضمَّن الروائي جزء من سيرته الذاتية في وصف اغتراب المثقف في جزائر ما بعد الاستقلال يدفعه إلى مغادرة الوطن.

– جاءت الرواية كصورة واضحة لعفونة الواقع و تدنِّي مستوى الحياة بالنسبة للمثقف.

– ركزّ الروائي واسيني الأعرج على إبراز قيمة المرأة الرمز، المعشوقة،الأخت،الأم،المرأة المفقودة، و أثرها على حياة المثقف الفنّان.

–فهذه قراءتنا لصورة المثقف في رواية شرفات بحر الشمال و نرجو أن نكون قد ألممنا بما احتوته الرواية من صور و وفقنا و لو بقدر قليل في ضيحها،و لله الحمد أولاً و أخرًا حتى يبلغ الحمد منتهاه .

المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن منظور ،لسان العرب المحيط ، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت ، ج2

2. بشير مفتي،أرخبيل الذئاب،منشورات الإختلاف البرزخ،2000.

3. بشير مفتي،المراسيم و الجنائز،منشورات الإختلاف،الجزائر،الطبعة الأولى،1998.

4. سنن الترمذي،الجزء8،345

5. واسيني الأعرج،شرفات بحر الشمال،دار الأداب،بيروت،الطبعة الأولى،2002.

المراجع:

6. ابراهيم محمود عبد الباقي،الخطاب العربي المعاصر،عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية(1990-1996)،المعهد العالمي للفكر الاسلامي،2008.

7. ابن عبد الحي محمد،المثقف المنزلة و الدور 1992 ،مجلة المعرفة،العدد 347

8. ادوارد سعيد ،المثقف و السلطة ،ترجمة،محمد عناني،رؤية للنشر التوزيع،القاهرة،الطبعة،2006.

9. ادوارد سعيد،خيانة المثقفين،ترجمة حسين أسعد،دار نينوى،دمشق،2011.

10. ادوارد سعيد،صور المثقّف،دار النهار،د-ط،1994.

11. اسماعيل مهنانة،كلمة مثقف أصبحت تحيل إلى "وضعية"،جريدة الخبر،17مارس2015.

12. انغير بوبكر: لمثقف الإسلامي و نهاية المثقف التحديثي الديمقراطي،مجلة فضاءات.

13. ايمن طلال يوسف:التفاعل الايجابي بين المثقف العربي و قضايا الأمة،إدوارد سعيد انموذجا،مجلة الفكر السياسي،العدد26،السنة الثامنة،2006،.

14. أيمن عبد الرسول،في نقد المثقف و السلطة و الإرهاب،رؤية للنشر و التوزيع،القاهرة،ط2004،1.

15. جابر عصفور،مواجهة الإرهاب،قراءات في الأدب المعاصر،مهرجان القراءة للجميع،مكتبة الأسرة،2003.

16. جديدي زليخة،الاغتراب،مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية،العدد الثامن جوان2012،جامعة وادى سوف،الجزائر.

17. جورج طرابيشي،هرطقات عن الديمقراطية و العلمانية و الحداثة و الممانعة العربية،رابطة العقلانين العرب و دار الساقي،لبنان،ط1،2006.

18. حسن المودن،الرواية و التحليل النصي،دار الأمان،الرباط، منشورات الاختلاف،الجزائر، الدار العربية للعلوم الناشرون،بيروت،لبنان،ط2009،1.

19. ساسي دقاقي:المثقفون جروح مفتوحه أو الحياة في "اللادور"،مجلّة الكلمة،العدد20،أغسطس،2008.

20. سعاد حمدون،صور المثقف في روايات بشير مفتي،مذكرة ماجستير،قسم اللغة و الأدب العربي،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة،2010.

21. سماح بن خروف،الاغتراب في رواية كراف الخطايا،مذكرة ماجستير،قسم اللغة و الأدب العربي،جامعة الحاج لخضر،باتنة،2012.

22. سهيل لعروسي،إشكالية الثنائية في الثقافة العربية،مجلة الفكر السياسي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،العدد10،9أكتوبر.

23. صالح مفقودة،المرأة في الرواية الجزائرية،مطبعة دار الشروق للطباعة و النشر،ط2.

24. عبد السلام محمد الشاذلي،شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة،1882-1952،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع،لبنان،بيروت،ط1985،1.

25. عبد العالي دبلة،الدولة الجزائرية الحديثة،الإقتصاد و المجتمع و السياسة،دار الفجر للنشر و التوزيع،القاهرة،الطبعة الأولى،2004.

26. عبد الله الهامل،المثقفون اليوم لا يملكون أدوات فهم الواقع،جريدة الخبر،17مارس2015.

27. عصام محفوظ،الرواية العربية،الطليعية و الشاهدة،دار ابن خلدون،بيروت،لبنان،ط1982،1.

28. علاء مداني،الانزياح في شعر عمر أزراج،ديوان العودة إلى تيزي راشد، عينة،مذكرة – ماجستير،قسم اللغة و الأدب العربي،جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2011.

29. علاّل سنقوقة،المتخيّل في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية،منشورات الإختلاف،ط1،2000.

30. علجية مودع،هامشية المثقف و رهانات السلطة،مجلة المخبر،العدد السادس،جامعة محمد خيضر،بسكرة،الجزائر،2010.

31. علي شريعتي،مسؤولية المثقف،ترجمة ابراهيم الدسوقي ،بيروت،لبنان،دار الأمير،الطبعة الأولى،2005.

32. عمار بلحسن :انتجلنسيا أم مثقفون في الجزائر،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع،لبنان،ط1986،1.

33. عمار بلحسن،في الأدب و الايديولوجيا،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

34. فاروق جقريف،أدب الأزمة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج،مذكرة ماجستير،كلية الأداب و اللغات،جامعة قاصدي مرباح ورقلة،2011.

35. فرقة بحث معهد اللغات الأجنبية،صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية،جامعة الجزائر.

36. لقاء مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج،برنامج بلا قيود،قناةBBC.

37. محمد العابد الجابري،المثقفون في الحضارة العربية،محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد،مركز -دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،ط2000،2.

38. محمد تامالت:الجزائر من فوق النيران،شهادات لجنرالات و رؤساء حكومات و زعماء أحزاب و شخصية من الجبهة الاسلامية للانقاذ،الجزائر1999.

39. محمد رياض وتار:شخصية المثقف في الرواية العربية السورية،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2000.

40. محمد شوقي الزين،إزاحات فكرية،مقاربات في الحداثة و المثقف،منشورات الإختلاف،الجزائر،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،ط2008،1.

41. محمد عباس،الوطن و العِشرة:تشريح أزمة 1991-1996،وزارة الثقافة،الطبعة الأولى،2005.

42. محمد قيراط،في ثقافة الاغتراب والتهميش(جريدة الشروق07-04-2010).

43. مخلوف عامر،الرواية و التحولات في الجزائر،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2000.

44. مصطفى مرتضى على محمود،المثقف و السلطة،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،ط1998،1.

45. معجم الوسيط ، إعداد إبراهيم أنيس وآخرون (باب الغين) ، الجزء 2 ، ط2.

46. منتديات ستار تايمز،مفهوم المثقف،**2006/12/03**،http://www.startimes.com/?t=29769

47. واسني الأعرج،ذاكرة الماء،منشورات الفضاء الحر،ط2001،1،ص07.

48. ياسمينة كيّال،تطوّر المرأة عبر التاريخ،مؤسسة غردين للطباعة و النشر.

49. ياسمينة كيّال،تطوّر المرأة عبر التاريخ،مؤسسة غردين للطباعة و النشر.

50. يسرى الأيوبي،المرأة عبر الزمن،ج1.

الفهـــــــرس

مقدمة: ..... أ-ب-ج

مدخل:.....4

الفصل الأول: محنة المثقف

المبحث الأول:المثقف و محنة الوطن.....**12**

المبحث الثاني:المثقف كفاعل إجتماعي.....**17**

المبحث الثالث:اغتراب المثقف.....**23**

المبحث الرابع:المثقف و السلطة.....30

المبحث الخامس:المثقف و المرأة.....36

الفصل الثاني: صور المثقف في رواية شرفات بحر الشمال

المبحث الأول :المثقف و محنة الوطن.....**43**

المبحث الثاني:المثقف كفاعل اجتماعي في الرواية.....**47**

المبحث الثالث:ملامح اغتراب المثقف في الرواية.....52

المبحث الرابع:المثقف و السلطة.....55

المبحث الخامس:المرأة و الإبداع في حياة المثقف.....60

الخاتمة: **65**

قائمة المصادر والمراجع: **68**

بحمد الله